جامعة الدكتور يحي فارس المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

النشاط الاقتصادي في الجزائر من خلال كتاب وصف إفريقيا "للحسن الوزان"

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر تخصص تاريخ الدولة العثمانية
1453-1924م

إعداد الطالبتين :
- هجيرة حمام
- رزيقة موساوي

إشراف الاستاذة:
زفزاف سعيدة

السنة الجامعية:
2019-2018 م / 1440-1439 هـ

جامعة الدكتور يحي فارس المدية
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الانسانية

النشاط الاقتصادي في الجزائر من خلال كتاب وصف إفريقيا "للحسن الوزان"

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر تخصص تاريخ الدولة العثمانية
1453-1924م

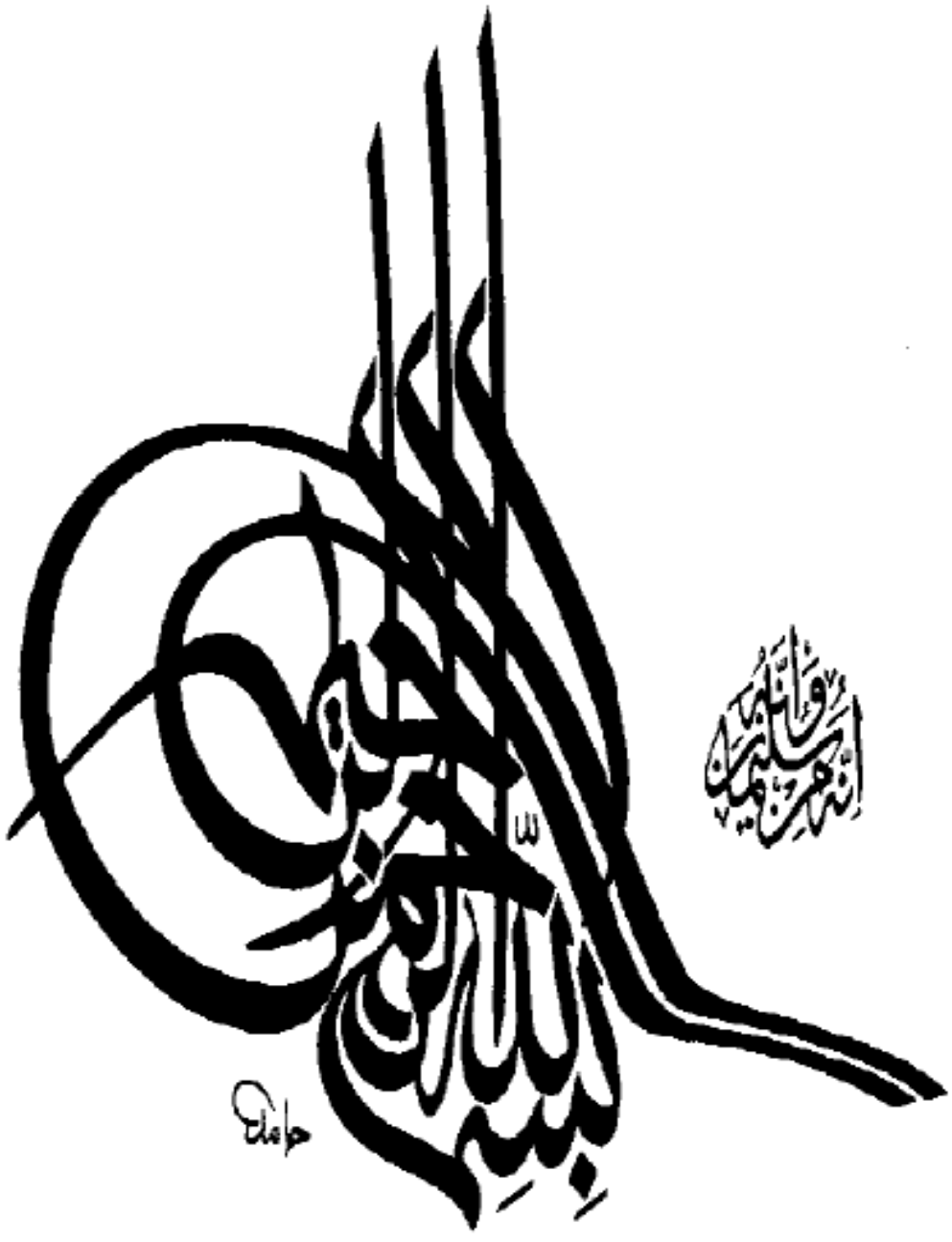
إعداد الطالبتين:
- هجيرة حمام
- رزيقة موساوي

إشراف الاستاذة :
سعيدة زفزاف

أعضاء لجنة المناقشة :

د. كمال بوزريعي	رئيسا ومناقشا	
د. عبد الرزاق تومیات	مناقشا	
أ. سعيدة زفزاف	مشرفة	

السنة الجامعية: 2018-2019 م/1439-1440هـ


بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه

شكر وعرفان

بسم الله الرحمان الرحيم:

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًاترضى.

سورة النمل الآية 19 .

قال النبي صلى الله عليه وسلم:" من لايشكر الناس لا يشكر الله".رواه الترميذي، فالحمد لله الذي أنار لنا طريق العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا العمل المتواضع.

نتقدم بالشكر الجزيل وفائق التقديرإلى الأستاذة المشرفة سعيدة زفزاف التي كانت نعم الأستاذة ونعم المشرفة، كانت موجهتنا طيلة فترةإنجاز مذكرتنا، ولم تبخل علينا لا بالنصح ولا بالتوجيه فشكرا جزيلا... حفظها المولى ورعاها ونفعها بعلمها.

إلى من صاغو لنا علمهم حروفا، ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح.
إلى أساتذتنا الكرام وكافة أساتذة قسمالتاريخ بكلية العلوم الإنسانية، خاصة أعضاء الجنة المناقشة .

إهداء

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها

إلى من ألبستني رداء الصبر على ماأحب

وعما أكره، إلي من علمتني الجهاد لنيل المعالي

من كانت لي الأمن والأمان والحب والاطمئنان

أمي الغالية حفظها اللهورعاها.

إلى من علمني أن أحيا حياة الاستقامة والصلاح من بث في نفسي روح النجاح

إلى الحضن الأمين والركن المتين والدي الحبيب أطال الله في عمره.

إلى أجمل ماأملك في الوجود إخوتي رابح محمد وأختي ليندة داموا لي فخرا واعتزازا... إلى براعم العائلة نريمان، محمد عبد المنجد، محمد أمين.

إلى الأستاذة المشرفة زفزاف سعيدة و كل الأساتذة طيلة مشواري الدراسي .

إلى من شاركتني في إنجاز هذا العمل صديقتي هجيرة.

إلى كل من يتمنى لي الخير من قريب أو بعيد.

الى كل هؤلاء اهدي ثمرة عملي.

رزيقة

إهداء

أهدي ثمرة جهدي

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار، و من علمني العطاء، الذي أحمل إسمه بكل إفتخار، إلى من تعب من أجل راحتي، وشجعني طيلة مشواري الدراسي فكان حلمه دوما رؤيتي ناجحة، أبي الغالي "محمد" أطال الله في عمره.

إلى من رمتني الأقدار بين أحضانها، إلى من تخجل كلماتي حين أذكرها، إلى من تكبدت عناء الحياة لتراني ناجحة، إلى أغلى إنسانة في الوجود أمي الحبيبة "حليمة"

إلى من هم سندي ومصدر فخري، وأغلى من روحي إلى من شاركوني ذكريات طفولتي إخوتي وأخواتي "سامية شهيرة صليحة أحمد بن حوى سعيد"

إلى من قدّم لي يد المساعدة وشاركني فرحي وحزني وزرع البسمة في وجهي عبدالنور ....إلى بنات إخوتي وأخواتي "أميرة ياسمين فدوى حسام عبد الله عبد العالي نهال نور محمد عصام أسامة ريان" وإلى بنات عمي"صباح هدى سارة مريم منيرة" وكل الأهل والأقارب

إلى الاستاذة زغزاف سعيدة وكل أساتذتي طيلة مشواري الدراسي.

إلى من شاركتني العمل صديقتي "رزيقة " وإلى كل من يعرفني.

هجيرة

قائمة المختصرات:

المختصر	معناه	المختصر	معناه
تح	تحقيق	دت	دون تاريخ
تر	ترجمة	ددن	دون دار نشر
تع	تعليق	دط	دون طبعة
تعر	تعريب	ع	عدد
ج	جزء	مج	مجلد
دب	دون بلد	م	الميلادي

المقدمة

شهدت منطقة المغرب الأوسط نهاية القرن 15وبداية القرن 16م تحولات سياسية هامة، نتيجة للصراعات الداخلية والتحرشات الأجنبية على سواحل الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي مهد الطريق للتواجد العثماني بالجزائر وتدفق أعداد كبيرة من الأندلسيين على السواحل،كان ذلك نقطة تغير جذري مست جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية، إذ أصبحت الجزائر قوة اقتصادية كبيرة وأيالة محصنة وبحرية نشطة، اعتمدت على غنائم الجهاد البحري، انعكس ذلك على الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة، حيث شهد على ذلك العديد من المؤرخين والرحالة خلال تلك الفترة.

فإذا تناولنا موضوع النشاط الاقتصادي في الجزائر من خلال الرحالة والمؤرخ الحسن الوزان، نجده محطة هامة يجب الوقوف عندها للتعرف عن ما شهده هذا الجانب من اهتمام أو عدمه في أيالة الجزائر، خاصة في مراحلها الأولى من الانضمام، وذلك من قبل شاهد عيان، فعلى الرغم من معلوماته المختصرة، إلا أنه وقف بدقة عند المدن التي مرّ بها وما شهدته من نشاط سواء من ناحية التنوع في المحاصيل الزراعية مثل الحبوب والأشجار المثمرة وغيرها، أو ما مارسته من الصنائع التي اعتمدت في مجملها على الصناعات الحرفية التي توفر متطلبات السكان، أو ما يتعلق بالتجارة بنوعيها الداخلية والخارجية ومراكزها كالأسواق التي مثلت نقطة تبادل تجاري بين الداخل والخارج، إضافة إلى وقوفه عند الموانئ التي اعتبرت المراكز الرئيسية للتجارة ذكر منها ميناء عنابة وهران الجزائر.

. دواعي اختيار الموضوع:

. من دواعي اختيارنا للموضوع، رغبتنا في دراسة هذا المصدر لما فيه من قيمة معرفية حول النشاط الاقتصادي بالجزائر، وارتباطه بمجال دراستنا تاريخ الدولة العثمانية.

. أيضا نقص الدراسات التي تناولت النشاط الاقتصادي في الجزائر في القرن 16م، خاصة أمام اختلاف الآراء حول اهتمام الدولة العثمانية أو عدمه في هذا المجال.

. التعرف على النشاط الاقتصادي من خلال رحالة كان شاهد عيان على ذلك، وبالتالي دراسة مصدر من المصادر التي عاشت الوضع في الجزائر.

. أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في التعرف أكثر على الجانب الاقتصادي في أيالة الجزائر خلال المرحلة الأولى من الحكم العثماني بها، بكل جوانبه من زراعة صناعة وتجارة وبنظرة رحالة نقل لنا واقع ذلك.

. الإشكالية:

حاولنا دراسة الموضوع انطلاقا من إشكالية تمحورت حول مدى مساهمة الحسن الوزان من خلال كتابه وصف إفريقيا، في إثراء وإعطاء معلومات وافرة ودقيقة عن كل ما يخص واقع النشاط الاقتصادي في الجزائر في المرحلة الأولى من الحكم العثماني بها؟ ومنه تفرعت الإشكالية إلى مجموعة تساؤلات:

. هل غطى الوزان كل جوانب هذا المجال وكان وصفه لها دقيق وشامل؟

. ما مدى اهتمام الدولة العثمانية بهذا المجال؟ وهل أعطي حقه؟

. الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة للموضوع نجد:

*مذكرة الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربية في العهد العثماني (مقاربة تحليلية) من مطلع القرن 18م/12هـ إلى 1830م/1245هـ، لصاحبها محفوظ سعيداني، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جاءت ملمة تقريبا لكل حقب العهد العثماني في منطقة المغرب العربي، تناول فيها بعض الجوانب من الاقتصاد الجزائري في القرن 16م.

*كذلك هناك مذكرة النشاط الاقتصادي للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني1518-1830م، لشهيرة شريف مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018، تناولت فيها الاقتصاد الجزائري في العهد العثماني.

*كما نجد مذكرة الحياة السياسية والاقتصادية في الجزائر والمغرب الأقصى من خلال رحلتي الوزان والتمغروطي، لحميد آيت حبوش، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، غير أننا لم نتمكن من الحصول عليها.

. المنهج المتبع:

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي، حيث قمنا بتناول الواقع الاقتصادي كما وصفه لنا الوزان بكل أنواعه وفي مختلف المناطق التي وقف عندها وجاءت الأحداث متسلسلة ومذكورة كرونولوجيا وفق ما جاء في الكتاب، أما المنهج التحليلي تناولناه من خلال التعمق في كل ما يخص النشاط الاقتصادي من خلال الوزان، محللين للواقع الاقتصادي معتمدين على مجموعة من المصادر والمراجع.

. الخطة المعتمدة:

إن طبيعة الموضوع تستلزم منا الاعتماد على خطة بنيت عليها دراستنا، قسمنا الموضوع إلى مقدمة وثلاثة مباحث متبوعين بمجموعة من الملاحق وخاتمة، وذلك من أجل تقديم عرض يحيط بكل الموضوع، تضمنت **المقدمة** لمحة عن النشاط الاقتصادي في الجزائر مع الوقوف عند إشكالية تمحورت حول ما تضمنه هذا المصدر من دقة في ذكر المعلومات، معا الوقوف عند الدراسات السابقة للموضوع وبعض المصادر التي دعمنا بها بحثنا.

. **أما المبحث الأول** جاء بعنوان الحسن الوزان وكتابه وصف إفريقيا، تناولنا في المطلب الأول حياة الحسن الوزان ورحلاته وشهرته، أما المطلب الثاني فخصصناه لدراسة الكتاب من محتوى ومضمون وأهمية.

. وفي **المبحث الثاني** تناولنا النشاط الزراعي والصناعي في الجزائر من خلال الحسن الوزان، قسمناه إلى مطلبين، تضمن الأول النشاط الزراعي، والثاني الصناعة وعوامل ازدهارها.

.أما **المبحث الثالث** عنوناه التجارة في الجزائر العثمانية من خلال الحسن الوزان، جاء بثلاثة مطالب، المطلب الأول النشاط التجاري وعوامل ازدهاره، المطلب الثاني المبادلات التجارية، وختمناه بأهم المراكز التجارية.

ليأتي بعده **عنوان فرعي** يتضمن تقييم عام لكتاب وصف إفريقيا وما تضمنه، وأثرينا دراستنا بمجموعة من الملاحق التي تخدم الموضوع.

جاءت الخاتمة في الأخير بمثابة حوصلة عامة، حاولنا فيها تقديم جملة من الاستنتاجات كحوصلة عامة عن الموضوع وصولا إلى الإجابة عن الإشكالية المطروحة.

. مصادر الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على بعض المصادر والمراجع التي تطرقت إلى موضوعنا، فكانت مرشدنا ودليلنا في إنجازه نذكر منها:

. مارمول كاربخال، **إفريقيا**، هو مصدر عايش فترة القرن 16م، تناول اقتصاد الجزائر من زراعة وصناعة وتجارة .

. القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، يتطرق إلى المجال الاقتصادي.

.التمغروطي، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، وصف هذا المصدر تجارة وأسواق الجزائر.

أما عن المراجع فكان اعتمادنا على مؤلفات ناصر الدين سعيدوني نذكر منها : **تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دراسات أندلسية، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر**، الذي تناول الاقتصاد الجزائري من كل جوانبه، أيضا نجد **كتاب دراسة التاريخ الموريسكي** لهلايلي حنيفي، الذي تناول فيه مساهمة المهاجرين الأندلسيين في النشاط الاقتصادي .

.ومن الرسائل الجامعية اعتمدنا على:

*مراد قبال، **الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالبليدة خلال العهد العثماني 1535–1830م**، الذي تناول الزراعة في الجزائر عامة ومدينة البليدة خاصة بداية العهد العثماني

*أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته**، الذي تناول الزراعة والصناعة، والتجارة في الجزائر في العهد العثماني.

*فهيم لقوارة، **ميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصادي في القرن 16–17م**، الذي أحاط بموضوع الميناء وتجارته .

صعوبات الدراسة:

من الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا، هو نقص المصادر التي تتناول المجال الاقتصادي خاصة خلال القرن 16م، حيث أن أغلب الدراسات ركزت على الجانب العسكري والسياسي، بالإضافة إلى ضيق الوقت.

نتمنى أن نكون قد أوفينا القدر الكافي من حق هذه الدراسة كمساهمة في اثراء دراسة النشاط الاقتصادي في الجزائر خلال القرن 16م.

المبحث الأول:

الحسن الوزان وكتابه وصف افريقيا

المطلب الأول: الحسن الوزان.

أ - نسبه ونشأته.

ب - رحلاته وأسره.

ج – شهرته ومؤلفاته.

المطلب الثاني : كتاب وصف إفريقيا

أ - محتوى الكتاب .

ب-. مضمون الكتاب.

ج - أهمية الكتاب.

المطلب الأول: الحسن الوزان (888هـ-957هـ_ 1483م- 1550م).

أ . نسبه ونشأته:

هو الحسن بن محمد الوزان[1]أبو علي الغرناطي أصلا الفاسي دارا الزياني نسبا، والمعروف في أسره يوحنا الأسد[2]والمعروف بليون الإفريقي[3]، والوزان نسبة إلى أحد أجداده الذي كان يعمل في مصلحة الموازين العامة[4].

ولد في حدود سنة893هـ-1488م،وجدت أسرته في غرناطة ثم هاجرت إلى فاس اثر سقوطها في يد الاسبان سنة 897هـ -1492م،تلقى العلم على يد مشايخ القرويين بفاس حيث درس على يد علمائها العلوم النقلية والعقلية المنتشرة في عصره، وعمل منذ صغره على جمع الضرائب من قبائل المغرب الأقصى،زاول وظيفة كاتب معتمد في بيمارستان الأمراض العقلية في مستشفى بفاس، لهذا لفت نبوغه المبكر نظر سلطان فاس محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي(ت931هـ-1524م)[5]، الذي قربه إليه وضمه إلى سلك رجال بلاطه وأسند إليه مهام سياسية[6].

عمل في عهده في الديوان ومكلفا من طرف التجار بالتفاوض مع الحكام، الذين كانوا يستبدون ببعض أقاليم المغرب وينازعون حكامها على السلطة الشرعية، كما كان يصاحب أعوان المخزن الوطاسي بفاس في مهامهم الإدارية داخل وخارج المغرب، إلى جانب مهامه السياسية في

---

[1]-انظر الملحق رقم03، ص75

[2]- عرف واشتهر بهذا اللقب في المصنفات الأوروبية.

[3]- هو اللقب الذي اشتهر به ليو بين معاصريه وأطلقه عليه محقق وناشر كتاب وصف افريقيا راميزيو الإيطالي.

[4]- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط15،ج 2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002، ص 217- 218.

[5]- محمد بن محمد الشيخ بن أبي زكريا الوطاسي المعروف بأبي عبد الله البرتغالي، ثاني ملوك الدولة الوطاسية بفاس بويع بعد وفاة ابيه سنة 916هـ، ونشط لاسترداد أصيلا من البرتغاليين، في أيامه ظهرت الدولة السعدية ببلاد السوس ثم بمراكش، توفي بفاس. انظر: الزركلي، الأعلام ،ج6 ،ص 56 .

[6]-طاهر خالد، مساهمة الحسن بن محمد الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتاب وصف إفريقيا، "**المجلة التاريخية الجزائرية**"، ع 4، سبتمبر 2017، جامعة محمد بوضياف. المسيلة ، ص ص 51-52 .

البلاط الوطاسي كذلك مهام لدى الدولة السعدية، وفي ظل هذا عمل مع الشريف محمد القائم بأمر الله السعدي[1](ت 923هـ-1517م)
كان مرافقا شخصية له وكاتبا ومرسولا بين القبائل وسفيرا[2].

ب – رحلاته وأسره:

تميزت حياة الحسن الوزان بتعداد رحلاته إلى مختلف المناطق الإفريقية،إضافة إلى بلاد الصرب وإيران والشام وأرمينيا وبلاد التتار.

عرف الحسن الوزان بحب الاستطلاع والتعرف على أحوال البلدان،دفعه هذا للقيام برحلته الأولى إلى تومبوكتو مع القوافل العابرة للصحراء سنة (910هـ-1510م) ولم يتجاوز سن 17 من عمره، كان يذهب في هذه الرحلة بصحبة عمه الذي كان في سفارة كلفه بها سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسي لدى ملك السودان أسقيه محمد،من خلالها تعرف على مناطق عديدة تمثلت في النيجر وأقاليم غانا ومالي وشاهد معالم مملكة سانغاي، عند عودته من هذا السفر خدم حسن الوزان السلطان محمد البرتغالي وصاحبه في حملاته داخل المغرب، وحضر معه محاولة استرجاع أصيلا من البرتغال سنة1508م، وانتقل بصحبته أيضا إلى إقليم دكالة عند غارته على الأعراب والقبائل الثائرة[3].

قام الوزان بعدها بأسفار أخرى خارج المغرب،أين اغتنم فرصة تكليفه بسفارة لدى السلطان العثماني سليم الأول، فتوجه إلى المشرق ثانية عن طريق المغرب الأوسط والأدنى، فتعرف على منطقة سبدو بتلمسان واتصل بحكامها لصالح سلطان فاس، و التحق بحاشية أبي عبد الله محمد الزياني، بعد ذلك مرّ بمدينة الجزائر وأثناء ذلك خرج للتفاوض مع الحاكم الاسباني من بجاية، التحق بعدها

[1]– محمد بن محمد بن عبد الرحمان ابن علي بن زيدان الحسني الملقب بالقائم بأمر الله، وهو مؤسس دولة الإشراف إل زيدان المعروفين بالسعديين، وبايعه أهل السوس ودرعة سنة 916هـ فتلقب بالقائم بأمر الله، استولى على نارودانت وحصنها وزحف إلى أغادير فامتنعت عليه وعاد إلى درعة وتوفي مجاهدا في مكان يسمى افغان من بلاد حاحة، دفن فيه ثم نقل إلى مراكش. انظر الزركلي، ج6، المرجع السابق، ص55 .

[2]- الطاهر خالد، المرجع السابق، ص52.

[3]– ناصر الدين سعيدوني،**من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين)**، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت1999م، ص 290 .

بعروج[1] بربروس الذي كان مقيما بجيجل في أواخر شهر ديسمبر سنة 1515م، ثم واصل سفره عبر المناطق الداخلية، مرّ بالمسيلة في طريقه لتونس فقام بجولات داخل البلاد التونسية ووصل فيها إلى قفصة وقابس، بعد ذلك واصل سفره إلى القسطنطينية ثم انقطعت أخباره ليظهر من جديد في شهر جوان سنة 1517م، ويحظى بمقابلة السلطان العثماني سليم الأول بمصر، تمكن كذلك الوزان من دخول مصر والسير مع نهر النيل حتى شلالات أسوان، ليعود بعدها إلى قنا ومنها عبر الصحراء الشرقية،ثم البحر الأحمر إلى ينبع ومنها إلى جدة لتأدية فريضة الحج،توغل بعد ذلك الوزان في بلاد العرب ثم بلاد فارس،زار تبريز وتعرف على معالمها[2]، ثم توجه إلى أرمينيا ودخل القسطنطينية للمرة الثانية عن طريق الأناضول، ثم عاد بعد ذلك إلى مصر وفي طريق عودته للمغرب سنة1518م عن طريق البحر متوجها إلى تونس، وقع في الأسر في جزيرة جربة أواخر سنة1519م، حيث اقتاده القرصان الصقلي "**بيترو بوقا دقليا**" إلى ايطاليا وقدمه هدية إلى البابا ليون العاشر[3]يوحنا الميديسي ملك برومية[4].

كان للبابا عناية بعلوم العرب فأكرمه وقرّبه إليه وسماه **جان ليون**،في هذه الأثناء تعلم الايطالية واللاتينية وكان يحسن الإسبانية والعبرية، مما جعل البابا يأذن له بتدريس العربية بكلية بولونيا[5].

عاش الوزان في روما حياة علمية وأقام صلات ودية مع العلماء، درس العربية أيضا في البلاط البابوي، شجّعه جوه العلمي على الاضطلاع بعدد من المشاريع العلمية فألف كتابه "وصف إفريقيا" لقراءه في ايطاليا سنة 1526م، أي بعد ثمانية أعوام من الإقامة في ايطاليا،بعد ذلك طلب منه البابا أن يترجم رحلته إلى الإيطالية وأذن له بتدريس العربية في كلية بولونيا، درس خلالها الايطالية واللاتينية وألمّ كذلك بالثقافة الأوربية التي كانت تعيش عصر النهضة آنذاك.

---

[1]– عروج وهو الأخ الثاني في عائلة بربروس لعب دورا أساسيا في تمهيد الطريق لأخيه خيرالدين في الحصول على مكانة في الجزائر، اسمه عروج ونجده في المصادر التركية بأروج وتعني الصوم.

[2] – سعيدوني، المرجع السابق، ص 291-292

3– ولد ليو بفلورينسيا بإيطاليا سنة 1475م،وكان اسمه جيوفاني آل ميديتشي، كان أبوه الزعيم الفلورينسي لورينزو آل ميديتشي، وأطلق عليه كذلك لورنزو العظيم، وقد انتخب ليو للبابوية عام 1513م وكان محبا للذات ومناهضا للفنون والآداب وقد انفق بسخاء على العلماء ومؤلفي الموسيقى والفنانين، كما حاول ليو الحفاظ على استقلال فلورنسا وعلى زيادة مصالح أسرته، توفي سنة 1520.انظر: الطاهر خالد، المرجع السابق، ص 74 .

4– سعيدوني، نفسه، ص 292 .

[5] – الزركلي، المرجع السابق، ص 218 .

أما بالنسبة لتاريخ وفاته، تشير العديد من المصادر أنه استطاع الإفلات من إيطاليا بعد عتقه بين عامي 1528و1530م، ويدعم هذه الرواية قول عبد الرحمان حميدة نقلا عن الكاتب المعاصر "**فيدماتشتات**" (...**إن الوزان مات في تونس سنة 944هـ،1538م وعمره خمسين عاما**...)، ويقول كذلك الدوميالي:(...**إقامة حسن الوزان بمعزل عن محيطه الأصلي كانت بلا ريب ثقيلة عن نفسه**[1] **والواقع أنه عاد إلى تونس سنة 1550م، ليحظى بالوفاة في أرض الإسلام المقدسة وفي حمى دينه الحقيقي ونفتقد أثاره منذ ذلك الحين**...)[2].

يستنتج من كل هذا أن الحسن الوزان عاش حياة علمية خصبة، إلا أنه في أواخر حياته فُقد أثره واختلف المؤرخون في تاريخ وفاته، غير أن المتفق عليه أنه مات في النصف الأول من القرن 16م.

ج – شهرته ومؤلفاته:

ذاع صيت ليون الإفريقي في روما وظل شخصية مرموقة في الأوساط العلمية منذ منتصف القرن10هـ . 16م، نالت هذه الشخصية اهتماما كبيرا من الغرب،فعلى غرار مؤلفه وصف إفريقيا نجد للوزان مؤلفات أخرى منها:

- كتاب في التراجم باللاتينية عرّف فيه بثلاثين شخصية بارزة من فلاسفة العرب وأطباءها،والذي انتهى من تأليفه سنة 1527م تحت عنوان حوليات إسلامية[3]، حيث نشره هون سينغر عام 1664م في زوريخ ثم أعيد نشره سنة 1746م في هامبورغ، وكان أول كتاب يقدم معلومات في غاية الأهمية للأوربيين في تاريخ تطور العلوم عند العرب، والتي تم اقتباسها من مختلف الكتب العربية التي كانت بحوزته ونشرت في هامبورغ سيتي في فترة (1644- 1746م).
- كما ذكر له كتاب في الجغرافيا العامة يعتبر مؤلف ضخم باللغة العربية، اطلع عليه بعض المترجمين القدامى،إلا أنه ضاع ولم يبقى منه غير القسم الثالث الذي يعتقد أن ليون الإفريقي قد ترجمه إلى الايطالية واعتمد عليه في كتابه وصف إفريقيا.

[1]–عبد الرحمان حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب**، دار الفكر، ط 1، سوريا، دمشق،1984، ص ص 632-634.

[2]– نفسه، ص 634.

[3]– حسين قيس علي القيسي، **الآثار الاقتصادية ووصف الطرق مؤتمر طرق الحج في إفريقيا**، الكتاب السابع، مركز الأبحاث والدراسات الأفريقية، الخرطوم، السودان، 2017،ص ص 182 – 183.

على غرار هذه الكتب هناك كتب أخرى ضائعة لم يرد لها أثر، وكتب بعضها في إيطاليا وأخرى في البلاد الإسلامية من بينها نذكر:

- مختصر تاريخ الإسلام الذي أحال عليه كثيرا في وصف إفريقيا.
- أشعار الأضرحة وهو كتاب جمع فيه الوزان مختلف أشعار الوعظ والزهد، مما وجده مكتوبا على الأضرحة والقبور في أقطار المغرب التي زارها.
- كتاب في الفقه المالكي أشار إليه كذلك في وصف إفريقيا، كما أشار إلى مؤلفات أخرى في الأعياد الإسلامية وقواعد اللغة العربية والشعر[1].
- كذلك من مؤلفاته معجما عبريا لاتينيا، ولاتزال مخطوطاته التي عثر عليها الحجوي محفوظة في مكتبة الأسكوري**ال**، كما عثرت الأستاذة كورازي على رسالة في القياس المسطح[2].

[1]- القيسي، المرجع السابق، ص 184 .

[2]- حميدة، المرجع السابق، ص ص 635 – 636.

المطلب الثاني: كتاب وصف إفريقيا.

أ –محتوى الكتاب:

كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان الفاسي جاء في جزئين، طبع الجزء الأول بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافي الأول بمدينة الرياض سنة1399هـ- 1979م،بترجمة من الايطالية إلى الفرنسية من طرف "**ابولار** "، ومن الترجمة الفرنسية إلى العربية من طرف الدكتور عبد الرحمان حميدة، وراجعه الدكتور علي عبد الواحد، ويتكون هذا الجزء من 165 صفحة، حيث لم تذكر المعلومات حول الطبعة ولا دار ولا تاريخ النشر.

في بداية الكتاب بدأ المترجم بمقدمة باللغة العربية ذاكرا فيها حياة الوزان والتعريف بكتابه وصف إفريقيا، لتأتي بعد ذلك مقدمة ثانية للمترجم "**أليكس ابولار**"، المترجم إلى اللغة الفرنسية.

يتكون الكتاب من قسمين، جاء القسم الأول بعنوان عنوان"منشأ اسم إفريقيا وأقسامها وممالكها"، تناول في هذا القسم أصل الأفارقة والعرب الذين يسكنون إفريقيا من الصفحة 35 إلى الصفحة 101، أما القسم الثاني فكان معنون بـ "مملكة مراكش" وهو مرقم من الصفحة 102 إلى الصفحة 165، حيث تناول المؤلف مناطق من مراكش كإقليم حاحة، تدنست وايدا وايزو غواغن، كذلك تيوت وتيسيغدلت ومدينة نعسته وغيرها من المناطق، بعدها تحدث عن مراكش وموقعها، ذاكر مجموعة من الجبال الموجودة بهذه المملكة كجبل سيكسوه وجبل غدميوا، جبل اديمي وغيرها.

أما بالنسبة للطبعة الثانية جمع فيها الجزئين من ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، أين طبع سنة 1983م،عن دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت لبنان، بالنسبة لترقيم الصفحات فالجزء الأول الذي يتكون من 382 صفحة، والجزء الثاني بدأ بترقيمه من الصفحة 07إلى الصفحة 339 بمجموع عدد الصفحات 736صفحة.

أما بالنسبة للوصف الخارجي للكتاب، جاء الكتاب في حجم متوسط وهو عبارة عن مجلد مغلف باللون الأسود، وعنوانه مكتوب بالخط الغليظ وسط الصفحة الأولى باللون الأبيض[1].

[1]- أنظر الملحق رقم 01،ص74.

ب–مضمون الكتاب:

يحتوي كتاب وصف إفريقيا في جزءه الثاني على ستة أقسام، يبدأ القسم الأول بوصف مملكة تلمسان ويتحدث عنها من الصفحة سبعة (07)إلى الصفحة ستة وأربعون(46)، في هذا القسم يتناول مملكة تلمسان بمختلف مناطقها، حيث أعطى تحديدا لمواقعها وذكر جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، أما القسم الثاني تناول فيه مملكة بجاية ومملكة تونس فتحدث عن بجاية من الصفحة 50إلى الصفحة 63، تكلم عن تونس من الصفحة 65 إلى 97 ومن الصفحة 104إلى 112 وذكر بعض مدنها مثل: باجة والقصبة وبنزرت وقرطاج ومدينة تونس، متطرقا إلى حدودها الجغرافية وتاريخ هذه المدن وسكانها ونشاطها الاقتصادي وحياتهم الاجتماعية.

أما القسم الثالث تكلم عن نوميديا من الصفحة 115إلى156، حيث تتخللها مدن جزائرية من الصفحة 134إلى140، ومن مدن نوميديا يذكر: تشيت، درعة، سجلماسة، القصير، فركلة وتزرين، تناول أيضا صحاري ليبيا والواحات لتكون خاتمة هذا القسم، كما اعتمد خريطة توضح موقع نوميديا وأهم مدنها.

وأهمها جاء في هذا القسم أنه ذكر بدايات تأسيس هذه المدن ومواردهم الاقتصادية المتمثلة في الصناعة والزراعة والثروة الحيوانية وعلاقاتهم التجارية.

في القسم الرابع تناول وصف بلاد السودان من الصفحة 159إلى179، وعلى حسب قول المؤلف أنه تم تأسيسها سنة 380هـ/990م، كما تحدث عن سكان هذه المنطقة ذاكرا أنه يعيش في هذه البلاد قوم كالبهائم لا ملوك ولا حكام ولا عادات لهم، يرعون الماشية ويجتمعون في الليل ويعبدون الشمس والنار وبعضهم مسيحيون،

حكمهم يوسف بن تاشفين، ثم ملك مراكش ثم اعتنق كثير منهم الإسلام وتعلموا اللغات، ومن بعض ممالك السودان ذكر مملكة ولاته، مملكة غينيا، مملكة مالي وتنبكتو، مملكة كوبر كانو واغدس وكذلك بورنو وغيرها من المناطق، حيث وصف كذلك بعض مناطق هذه الممالك ونمط معيشتهم وبعض ممتلكاتهم، ونشاطهم الاقتصادي وعلاقاتهم التجارية مع البلدان الأخرى.

وفي القسم الخامس تحدث الحسن الوزان عن مصر وموقعها وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية للسكان،أيضا إقليم مصر قسمه إلى ثلاثة أقسام:الريف، الصعيد،والبحيرة،وكانت وافرة الإنتاج من حبوب وخضر وفواكه، أيضا فيها الماشية والطيور، تناول أصل المصريين ونسبهم إلى مصرائيل بن كوش بن حام بن نوح، كما ذكر خاصية مناخ مصر وتغيراته ثم عرج عن بعض مدنها مثل: مدينة الإسكندرية والقاهرة، الجيزة وأسيوط، فوصف هذه المدن وذكر تاريخها كما تحدث عن أهميتها ومواردها الاقتصادية.

أما بالنسبة للقسم السادس والأخير من الكتاب، فتحدث فيه عن الأنهار والحيوانات والنباتات في افريقيا التي تناولها من الصفحة 244إلى الصفحة 284، وفي حديثه كانت البداية بذكر الأنهار: كنهر تانسيفت، واد العبيد وأبو رقراق، ملوية والتافنة أيضا الشلف وواد قابس ودرعة ونهر النيل، لينتقل بعدها إلى الحيوانات التي صنفها إلى برية كالفيل والزرافة والبعير وفرس المغرب، الفرس الوحشي وبقر جبال إفريقيا والضبع والنمور، أما بالنسبة للحيوانات المائية فقد ذكر سمك العنبرة، فرس الماء، التنين والتمساح والضبع، وعن الحيوانات الطائرة ذكر النعامة النسور والخفاش، البغاء والجراد، كما تناول المؤلف أيضا المعادن الموجودة بهذه المناطق السابقة الذكر كالملح والقطران والكحل[1].

أما بالنسبة للمدن الجزائرية: مملكة تلمسان، بجاية، بعض المناطق التابعة لمملكة نوميديا، التي تكلم عنها في القسم الأول والثاني والثالث،سيتم التوسع فيها في المباحث القادمة باعتبارها موضوع البحث.

ج – أهمية الكتاب:

يعد كتاب وصف إفريقيا للمؤلف الحسن الوزان من المصنفات المهمة خلال القرن16م . 10هـ، حيث تتجلى أهميته كونه ساهم في التعريف بكثير من المناطق الإفريقية وإلقاء الضوء عليها،في الوقت الذي كان الجغرافيين يعيدون رسم خرائط القارة الإفريقية انطلاقا مما تركه حسن الوزان من كتابات.

ظل الاعتماد عليه كاملا حتى مجيء "**منجوبارك**" وغيره من الكبار الذين عملوا على اكتشاف القارة بعد مرور ما يزيد عن قرنين، باعتباره مصدرا في تلك الفترة وغنيا بالمعلومات الجديدة التي يتطلع

[1]– يذكر هكذا من المعادن: الملح والموز والنخيل، الداد (نبات)،شجرة الطلح، الترفاس، الفربون (وهو صمغ أحد النباتات التي تنمو مثل شكل الخرشوف البري). أنظر الوزان،ج2، ص ص 280- 284.

إليها الناس منذ زمن بعيد، كذلك ظل مدة قرنين ونصف من الزمن كتابا أساسيا لجميع المعنيين بشؤون إفريقيا، فكتاب وصف إفريقيا يمثل مكانة وسيطة بين مؤلفات البكري وكذا الإدريسي في القرنين الخامس والسادس عشر، لأنه اعتمد على هاذين المصدرين باعتبارهما عاشا الفترة والأحداث التي سبقته[1].

تتجلى كذلك قيمة وأهميه هذا الكتاب،في اعتماد الكاتب على الملاحظات الشخصية التي تشكل القسم الأكبر من كتابه، وهو الوحيد على الأرجح المتميز بالأصالة والترتيب، حيث كان في الحقيقة بمثابة فتحا جديدا بالنسبة لذلك العصر بسبب تقديمه لما يزيد عن400اسم لمواضع جغرافية مع معطيات دقيقة وجديدة[2].

نظرا لأهمية هذا الكتاب في دراسة المدن والممالك الإفريقية،لقي هذا المصنف انتشارا واسعا وبكل اللغات فقد أعقب ظهور الطبعة الإيطالية عدة طبعات، وقد تم نشر كتاب وصف إفريقيا من طرف "**راموزيو**" سنة 1550م في مدينة البندقية بعد فترة لا تزيد عن 24 عاما من انتهاء الحسن الوزان من تأليفه لكتابه باللغة الإيطالية،وذلك في جملة قصص رحلات جغرافية، وأهداه لشخصية علمية سياسية كبيرة هو "**جيروم فراكستور**"، وأعاد راموزيو نشره للمرة الرابعة عام 1558م بعد نجاح الكتاب في ذلك العصر[3].

وفي سنة 1555م ظهرت الترجمة الفرنسية من طرف "**تامبورال**"، وبعد فترة وجيزة تمت ترجمته إلى اللاتينية بقلم جان فلوريان سنة1556م في مدينة أنقرس البلجيكية، وفي سنة 1600م ظهرت الترجمة الانجليزية على يد "**جون بوري**"، وظهرت كذلك ترجمة أخرى للكتاب بالهولندية كانت سنة 1665م، وفي سنة 1705م تمت ترجمته إلى الألمانية، وفي سنة 1896م صدرت طبعة إيطالية حديثة للكتاب، نجد أنه قد أعيد نشره بالإنجليزية[4] للمرة الثانية وهذا اعتمادا على طبعة بوري سنة

[1]– القيسي، المرجع السابق ،ص ص188–190 .

[2]– كراتشوفسكي اغناطيوس، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الأول، الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية،1957،ص ص 453–454.

[3]– حميدة، المرجع السابق، ص 625 .

[4]–انظر الملحق رقم02، ص74.

1896م، ونشر الكتاب كذلك بالفرنسية سنة 1896-1898م بباريس من طرف "**شيفر**"، وفي عام 1952م ظهرت في مدريد الترجمة إلى الإسبانية[1].

بعد نشر الطبعة الفرنسية، اعتمد الطبيب الجنرال الفرنسي "**ايبولار**" الذي قضى سنين من حياته في المغرب العربي وخاصة المغرب الأقصى، قام هذا الأخير بتحقيق كتاب وصف إفريقيا حيث أثراه بشروح إضافية، إلا أنه لم يكمل مشروعه فقد توفي سنة 1949م، لكن عمل أصدقائه على إكمال مشروعه، فنشروا وطبعوا الكتاب سنة 1956م في جزئين، كذلك أضافوا بعض الشروح والتعليقات،وفي سنة 1979م-1399هـ ترجم الدكتور عبد الرحمان حميدة كتاب وصف إفريقيا إلى العربية[2].

من أهمية الكتاب نجد أيضا أن محمد الحجوي يذكر عن كتاب وصف إفريقيا،أنه أول كتاب جغرافي يصح أن يطلق عليه هذا الاسم، فقد ظهر في أواسط القرن 16م بألمانيا ومن هناك انتشر، فكتاب الوزان عرف قبل ذلك واقتبس منه قبل طبعه،كان في طليعة الكتب التي ابتدأت بها المطبعة الفرنسية، فقد كان ذو تأثير وأهمية بالنسبة للنهضة الأوروبية[3].

بفضل كتاب وصف إفريقيا اتسع علماء أوروبا في جغرافية القارة الإفريقية، حيث كانت معرفتهم لا تتعدى المناطق الواقعة شمال خط الاستواء مثل ليبيا، والسودان الغربي وإثيوبيا ومصر وبلاد المغرب العربي،ولقد اعترف علماء وجغرافي أوروبا أن نتاج الحسن الوزان يتصف بالأصالة والترتيب مما يدل على ثقافته الواسعة وذكاءه المفرط، فكانت المعلومات التي وضعها في كتابه هي الأساس التي اعتمد عليها في هذا المجال[4].

مما سبق نستنتج أن الحسن الوزان عرّف في كتابه إفريقيا وأقسامها وكذا ممالكها تعريفا دقيقا وشاملا، أيضا ذكر البعض من المناطق التي زارها كمراكش وتلمسان وبجاية،بالإضافة إلى تونس وبلاد

---

[1]- حميدة، المرجع السابق، ص 627 .

[2]- نفسه، ص 628 .

[3]- محمد المهدي الحجوي، **حياة الوزان الفاسي وآثاره**، المطبعة الاقتصادية، الرباط،1354هـ -1935م، ص 42 .

[4]- علي بن عبد الله الدفاع، **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية**، دط، مكتبة التوبة، دب، دت، ص 244.

السودان ومصر، حيث أعطانا لمحة عن بدايات هذه المناطق، واصفا الحياة الاجتماعية من عادات وتقاليد، أيضا تطرق للحياة الاقتصادية من أنشطة زراعية وصناعية وتجارية، وأورد الكاتب البعض من الثروة المعدنية والحيوانية التي تزخر بها إفريقيا، لذلك بقي كتاب وصف إفريقيا ولمدة ثلاثة قرون لم يستطع كاتب أو عالم يتناول وصف لإفريقيا تجاهله.

المبحث الثاني:

النشاط الزراعي والصناعي في الجزائر من

خلال الحسن الوزان

المطلب الأول: النشاط الزراعي

01 . الزراعة وعوامل تطورها

02 . أنواع المنتوجات الزراعية والثروة الحيوانية.

أ– أنواع المنتوجات الزراعية

ب– الثروة الحيوانية

المطلب الثاني: الصناعة وعوامل ازدهارها

01 . عوامل ازدهار الصناعة

02 . أنواع الصناعات

03 . المراكز الصناعية

المطلب الأول: الزراعة وعوامل تطورها.

يعد القطاع الزراعي المورد الرئيسي الذي يؤمن معيشة غالبية السكان،فإذا تناولناه في الجزائر نجده وبالرغم من الامكانيات الطبيعية التي تزخر بها مناطقها، إلا أنه لم يشهد ازدهارا كبيراخلال فترة الدخول العثماني، نتيجة اهتمامهم بالبحر وتحرير السواحل من العدو.

لأن الزراعة حسب ابن خلدون هي صناعة وثمرتها اتخاذ قوت الحبوب بالقيام على إثارة الأراضي لها وزراعتها وعلاج نباتها وسقيها للوصول إلى الغاية المتمثلة في الحصاد، وإحكامالأعمال وتحصيل أسبابه ودواعيه، وهي أقدم الصنائع لأنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا،إذ يمكن وجوده دون جميع الأشياء، ويرى كذلك أن الفلاحة من معاش المستضعفين وذلك لأنه أصيل في الطبيعة وغالبا لا ينتحله أحد من سكان الحضر ولا الأغنياء[1].

تميزت الجزائر بطابعها الفلاحي، باعتبارها المورد الرئيسي الذي تقوم عليه معيشة غالبية السكان كما سلف الذكر، وما ساعد على ازدهارها، الظروف المناخية الملائمة وخصوبة التربة، فكانت كل منطقة في الجزائر مختصة في إنتاج أنواع معينة من المحاصيل[2]، الأمر الذي أدى إلى تنوعها من قمح وشعير بكميات كبيرة، كما نجد منتجات أخرى كالصوف والجلود، أما مراعيها فتزخر بأنواع الحيوانات المختلفة كالأبقار والأغنام والماعز والخيل وغيرها.

حيث اعتبرت سهول وهران[3]، اغريس، مستغانم، تلمسان، معسكر، متيجة،عنابة[4]، هضاب قسنطينة من أجود مناطق الإنتاج الزراعي آنذاك[5]، هذا ما نجدالحسن الوزان يتطرق إليه في كتابه وصف إفريقيا من خلال قوله "**بقصر تمزيزدكت تحيط به أراضي جيدة كانت تزرع بها حاجيات**

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج1، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1968، ص 723.

[2]- مؤيد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، "**أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي1515 –1830م**"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج 5، ع 16، جامعة توكرت نيسان، 1434هـ -2013م، ص 12.

[3]- مراد قبال، **الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالبليدة خلال العهد العثماني 1535– 1830م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة بوزريعة، 2004- 2005، ص 54 .

[4]- مدينة قديمة من بناء الأول وفيها اثار كثرة وهي على ربوة مشرفة على فحوصها وقراها، أنظر:مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تر: سعد زغلول عبد الحميد،دط،دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 172.

[5]- قبال، نفسه، ص 54 .

السكان ... ومدينة ندرومةباديتها منتجة إلىأقصى حد وحولها بساتين عديدة وأراضي مغروسة ....أيضا جبال دولة الجزائر أراضيها خصبة وجيدة للزراعة ويمتلكون كمية عظيمة من الخيل والماشية"[1].

أ . الوسائل والأساليب المستخدمة:

بالنسبة للوسائل والأساليب المستعملة في الزراعة فقد ساهم الأندلسيون في إدخال مزروعات جديدة، وطوروا وسائل الري وأنشؤوا الحنايا والسواقي في الفترة الأولى من العهد العثماني، إلا أن أوضاع الفلاحة لم تتطور في هاته الفترة، فقد اعتمد الفلاحون في زراعة أراضيهم على الطرق التقليدية والأدوات البسيطة، نذكر منها المحراث الخشبي الذي يتكون من قطعتين قصيرتين ومزودة بسكة حديدية في طرفه الأسفل، فهذا المحراث يلامس فقط الأرض ولا يتعمق في التربة، كذلك من الأدوات نذكر المنجل البسيط الذي يتلف السنابل أكثر مما يحصدها[2]، والمعول والفأس والزحافة، المجرفة والمدرة والمذراة والعربة وغيرها من الأدوات المستعملة[3].

أيضا التجأ الفلاح إلى رماد الأعشاب المحروقة وفضلات الحيوانات لإخصاب التربة، وعند عدمتوفر هاته المواد تترك الأرض بورا مدة سنة أوأكثر دون حرث حتى تستعيد خصوبتها، فباستعمال هذه الأدوات ظلت الكثير من الأراضي مهملة ولا يقبل الفلاحون على زراعتها مما أدى إلى انتشار المستنقعات بها مثل سهول عنابة وهران والجزائر[4].

أما عن نظام الإرواء كان يعتمد على مياه الأمطار لعدم توفر خزانات وقنوات اروائية، بالإضافة إلى وجود أنهار موسمية الجريان تم الاعتماد عليها[5]، عمل الفلاح للانتفاع بها إلىإقامة حواجز بسيطة من الطين والأخشاب التي لا تقوى على الحد من الفيضانات مثل: السدود البسيطة التي كان الأهالي يقيمونها على أودية مينا وسيق والهبرة، شلف وواصل والصومام[6].

---

[1]- حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983، ص ص 46-11.

2- ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط 2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 172.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، **الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر(دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791 –1830م**، دط، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 261.

[4]-سعيدوني،تاريخ الجزائر...، نفسه، ص 172 .

[5]-المشهداني، المرجع السابق، ص 12.

[6]- سعيدوني، تاريخ...، نفسه، ص 173.

نجد الوزان يتحدث عن بعض من هذه الأساليب فيذكر أنه في قصر ايسلي[1] يمر حوله جدول يسقي المزروعات، وذكر أن المدية تقع في سهل خصيب أراضيها خصبة تمر به جداول كثيرة وبساتين، كما تناول سكان منطقة البرج وذكر أن كلهم فلاحون، غير أنه لقلة المياه كان كل فلاح يجلب الماء لحقله من القناة التي تمر بالحقول، كما تناول أيضا منطقة بونة وذكر أنها لا تحتوي على عيون بل صهاريج لتخزين مياه الأمطاروأراضيها صالحة للزراعة[2].

ولتحسين وضع الزراعة اتبع الفلاح طرق أخرى،كتوزيع المزروعات حسب نوعية التربة وطبيعة المناخ، فالأراضي الفقيرة زرع فيها الشعير، أما الأراضي الرطبة استغلت في زراعة البقول والذرة، والأراضي الجبلية خصصت لزراعة الأشجار المثمرة والمرتفعات الجبلية تركت للرعي[3].

بالنسبة لعملية الحرث تبدأ بعد سقوط أول أمطار الخريف، أين يتم زراعة البذور بين شهري نوفمبر وجانفي، تتم بواسطة المحراث ،أما فترة حصاد المحصول تكون في شهر ماي أو جوان حتى بداية شهر جويلية، تكون الطريقةبدرس السنابل تحت حوافر الخيول أو البغال أو الثيران التي تدور في مساحة محدودة بشكل دائري، عندما ينتهي الفلاح من عملية الدرس تأتي عملية تصفية الحبوب، فيذرى ما تبقى من التبن في الهواء بواسطة جرافة، وبهذا يتم التخلص من التبن والغبار، وتتساقط الحبوب على الأرض أين تخزن في المطامر التي يتم حفرها في الأرض على شكل مخروطي في أماكن تكون جافة، ويبلغ عمقها في بعض الأحيان تتراوح بين 10أو12 قدما، كما يمكن حفظ الحبوب فيها مدة 10 سنوات أوأكثر، وتعرف بالقلعة حيث يتم استهلاك هذه الحبوب أوقات الحاجة[4].

كما استلزم إنتاج هذه المناطق من الحبوب إقامة شبكة متكاملة من الطاحونات المائية والهوائية بالمدن والأرياف، كانت الطاحونات[5] الواقعة خارج المدن تكفي وحدها لتلبية الحاجيات

---

[1]- وهي بشرق أرشكول بمقربة منها وكانت مدينة قديمة عليها سور من صخر، أنظر:الاستبصارفي عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 135.

[2]-الوزان، المصدر السابق، ص ص 12- 60.

[3]- سعيدوني،تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص 174.

[4]-سعيدوني،الحياة الريفية ...، المرجع السابق، ص ص265-266.

[5]-انظر الملحق رقم05، ص76.

الاستهلاكية للمنطقة، أهمها التي تنتج طحين القمح بالقرب من المدن أو الأحراش مثل طاحونات الفحوص[1].

هذا مايتناوله الوزان في قوله عن تلمسان (...**وعلى بعد ثلاثة أميال شرق المدينة نجد عدة أرحية لطحن القمح**...)[2].

وجدت الطاحونات بفحوص مدينة الجزائر وبني موسى وبني خليل خاصة طاحونتي واد المفاصل ووادي القناصل، حيث يجلب سكان هذه المناطق حبوبهم لطحنها ويشتغل فيها سكان القبائل بهدف طحن منتجاتهم وفي غالب الأحيان تلحق بالطاحونات أفران لطهي الخبز، حيث يوجد أهمها خارج باب عزوز وهي تستهوي المار بسبب شكلها المقبب والجميل والمسطح ذي الأقواس الثقيلة[3]، لم يحرز الجزائريون إلا على النذر القليل من التقدم في فن الميكانيك إذ كان لا يملكون سوى مطاحن ناقصة لصنع دقيقهم[4].

ب . العوامل المساعدة على تطورها:

ساهمت عدة عوامل في تنوع المحاصيل الزراعية، كتنوع التضاريس وخصوبة التربة والمناخ الملائم للزراعة، أيضا هناك عوامل أخرى على غرار التي ذكرناها ارتبطت بالطبيعة نذكر منها:

. توفر الأمن والاستقرار حيث نجد مع بداية الحكم العثماني في الجزائر ساد نوع من الأمن والاستقرار، الذي انعكس بدوره على الحياة الاجتماعية وكذا الاقتصادية في الأيالة[5]، عمل حكامها على تحصينها من الهجمات الصليبية (الإسبان والبرتغال)، وذلك من خلال تجديد وبناء القلاع والحصون وتقوية أسطولها البحري الذي فرض نفسه على الساحة المتوسطية، مما أدى بالفلاح إلى أن يرتبط بأرضه ويمارس الزراعة ويقتات من كل ما تنتجه الأرض، ففي أوائل القرن 16م كانت

---

[1]- سعيدوني، الحياة الريفية...، المرجع السابق، ص ص265 -276.

[2]- الوزان، المصدر السابق، ص20.

[3]- سعيدوني، الحياة الريفية...، نفسه، ص278.

[4]- ليسو ويلد، المصدر السابق،ص34.

[5]- محفوظ سعيداني، **الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربية في العهد العثماني –مقاربة تحليلية –من مطلع القرن 18م/12هـ – إلى 1830–1245 هـ**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2،2012-2013، ص 103.

تنعم في رخاء مع وفرة المنتجات الفلاحية من قمح وشعير وزيتون وتين وتمور، تمتلك أيضا الكتان و القنب إلى جانب المنتجات الحيوانية كالجلود والصوف والسمن والعسل والثروة الحيوانية[1].

. مساهمة الأندلسيون الذين كان لهم دور كبيرفي تطوير الإنتاج الزراعي وتنويعه في المناطق الساحلية للجزائر، حيث أنهم أحيوا المزارع والضيعات واستصلحوا الأراضي وجففوا المستنقعات، وأدخلوا أساليب ملائمة لخدمة الأرض وأنشؤوا الطرقات وأقاموا النواعير، ومدوا القنوات وأنشئوا العيون والقناطر وحفروا الآبار والسواقي، كذلك كان لهم الفضل في إدخال مزروعات جديدة لبلاد المغرب لم تكن معروفة مثل الفلفل البطاطس والباذنجان، الزعفران والجلبان والملفوف والقرمز وأنواعمن الزهور، القطن، وتوسعوا في زراعات كانت مهملة مثل زراعة التوت الأبيض والأسود لتربية دودة القز(الحرير)، والعنب والتين والزيتون[2].

ج . طبيعة ملكية الأرض:

يقوم النشاط الزراعي على أنظمة تحكمت في طريقة استغلال الأرض، من هذه الملكيات نجد:

. الملكية الخاصة: وهي الأرض التي يستغلها أصحابها مباشرةإذأنهم يدفعون للدولة فريضة العشور والزكاة[3]، وقد كانت تتصف بعدم الاستقرار ومساحاتها صغيرة لأنها تخضع لأحكام الوراثة والبيع والشراء، أيضا كونها في بعض الأحيان تتعرض للمصادرة والحيازة من طرف الحكام، كذلك توجد أغلبها إما في المناطق الجبلية المكتظة بالسكان، أو بجوار المدن مثل الملكيات الواقعة بالقرب من مدن الجزائر وقسنطينة ووهران التي أصبحت في حوزة بعض الأتراك والحضر، وقد كانت الملكيات الخاصة تشتمل على 11.250 هكتار يستغل منها 9.000 في زراعة الحبوب

---

[1]–سعيداني، المرجع السابق،ص 103.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر تونس وطرابلس الغرب)من ق 16الى ق 19م**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ص 29 .

[3]– وهي قدر معين يؤخذ من نتاج الأرضأوالحيوان.انظر: محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر 1981، ص 40 .

و4000هكتار لإنتاج الخضر والفواكه، وكانت تأخذ منها الدولة 20.762 كيس من الحبوب في شكل ضريبة العشر والزكاة[1].

. ملكيات البايلك: أراضي تتصرف فيها الدولة وأغلبها توجد بمنطقة دار السلطان، وهران وقسنطينة[2]، ففي إقليم دار السلطان كانت تعرف بأحواش البايلك، وتتوزع على 13 مزرعة كبيرة، حيث يعمل بها الخماسة[3] وتضم كل مزرعة 60 أو 80عددا من الحيوانات مثل الأبقار، وكانت من هذه المزارع تنقل كميات من الزبدة والجبن والحليب إلى مدينة الجزائر، وفي نواحي وهران كانت ملكيات البايلك تقدر بـ11.250هكتار وتقع معظمها بقرب المدينة، أما في الجهات الشرقية فكانت ملكيات البايلك تعرف بالعزل ونجدها على مساحة شاسعة حول مدينة قسنطينة وتقدر بـ60ألف هكتار، يستغل منها 48ألف في زراعة الحبوب و 12ألف في إنتاج الخضر والفواكه المختلفة[4].

. أما بالنسبة للأراضي المشاعة: وهي الأراضي الجماعية التي يقوم بخدمتها سكان القبيلة أو الدوار على حسب مقدرتهم وإمكانياتهم يستغل جزء منها في الرعي، وعندما يغيب أحد الأفراد وإهماله لحصته من الأرض فإن أعيان الجماعة يقومون بتسليمها لمن يقوم بخدمتها، وتعرف الجهات الشرقية منها بأراضي العرش والغربية بأراضي السبقية، وتفرض الدولة على هذه الأراضي غرامة سنوية تأخذ منها في بعض الأحيان اللزمة[5]، أين كانت الغرامة دائما ما تدفع نقدا وتكون من الإنتاج[6].

---

[1]- سعيدوني، تاريخ الجزائر ...،المرجع السابق، ص ص 165 -166.

[2]- يمينة درياس، **السكة الجزائرية في العهد العثماني**، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 9 .

[3]-يقوم هذا النظام على استخدام الفلاحين من جماعات الرعية الخاضعة للعمل في مزارع الخواص من الحضر،أو في ملكيات الدولة (البايلك) مقابل خمس المحصول، وهذا ما يجعل منهم أجراء وشركاء لصاحب الأرض بالخدمة، فالخماس مكلف بالقيام بأعمال الحرث والحصاد وقلع الحشائش الضارة من الحقول وحراسة المحصول من التلف ومن الطيور والحيوانات. انظر: ناصر الدين سعيدوني، **الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص190 .

[4] -سعيدوني، تاريخ ...، المرجع السابق، ص 166.

[5]- وهي ضريبة على الأفراد وتطبق على الرجال القادرين على حمل السلاح، وتقوم على حق الولاية على الجماعات الريفية المتحالفة أو التابعة أو التي لا تخضع مباشرة إلى سلطة البايلك. انظر سعيدوني، الحياة الريفية...، المرجع السابق، ص181.

[6]- سعيدوني، نفسه، ص167.

. أراضي الوقف: التي تحبس على الأعمال الخيرية والمؤسسات الدينية، يعود التصرف فيها إلى ناظر الأوقاف، نجدها حول المدن الكبرى، وتنتج غلات كثيرة لذلك قامت الدولةبالسيطرة على معظمها، انتشرت في سهول قسنطينة واغريس وقلعة بني راشد ومستغانم والتيطري[1]، حيث فرضت عليها ضرائب سنوية وارتبطت بطبيعة الملكية السائدة والطرق المتبعة في استغلال الأرض، يذكر ذلك الحسن الوزان من خلال تناوله بعض الولايات، كسكان إقليم بني راشد أشار إلى أنهم أثرياء ويشتغلون بسائر ضروريات المعيشة، تناول أيضا سكان السهول الذين اعتنوا بماشيتهم وأدوا بعض الإتاوات إلى ملك تلمسان، وذكر أن سكان مليانة أيضا اشتغل معظم سكانها بالفلاحة[2].

02 . أنواع المنتجات الزراعية والثروة الحيوانية.

أ . المنتوجات الزراعية.

تنوعت المنتجات الزراعية في الجزائر، حيث تميزت كل منطقة بمحاصيلها وذلك حسب ما يتلاءم مع ظروفها الطبيعية، من هذه المنتوجات نذكر:

. الحبوب:

اعتنى المجتمع الجزائري عامة بزراعة الحبوب كونها أساس معيشته، يتبين ذلك من خلال المساحة الكبيرة التي خصصها الفلاحون لها، حيث لم تخلو منطقة في السهول والجبال من ممارسة الزراعة، أين شملت كل السهول الممتدة من تلمسان غربا إلى عنابة شرقا مرورا بسهول وهران ومعسكر و الشلف والهبرة ومليانة، قسنطينة كلها تميزت بزراعة القمح[3]، ومدينة الجزائر التي شملت سهل متيجة التي عرفت بكثرة وجودة وتنوع قمحها، بالإضافة إلى مدينة تنس ودلس[4].

وعليه يأتي القمح على رأس المحاصيل الزراعية بالجزائر، كان متعدد الأنواع وأحسنها عالميا، اختلفت نوعيته من جهة إلى أخرى إذ كانت مناطق الأطلس التلي والهضاب الداخلية تنتج قمحا جيدا يعرف بالبليوني، أو القمح الصلب الذي يصنع منه الخبز الجيد، أما المناطق الساحلية وبعض

---

[1]- درياس، المرجع السابق، ص 9 .

[2]- الوزان، المصدر السابق، ص ص 21-35.

[3]- ارزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519 –1830م**، رسالة الدكتوراه، جامعة الجزائر،2005-2006، ص 215 .

[4]- الوزان، نفسه، ص ص36-42.

السهول المنخفضة كانت تنتج قمحا رديء وذلك بسبب التربة وارتفاع نسبة الرطوبة وكمية التساقط[1]،يذكر ذلك المؤرخون مثل وليام شالر في مذكراته أن القمح الجزائري من النوع الصلب والدقيق الذي يطحن منه، يشبه الرمل في مظهره وهو صعب للعجن لكن الخبز الذي يصنع منه لذيذ الطعم وهذا القمح معروف في الأسواق الإيطالية ويفضله التجار على أنواع القمح الأخرى بسب جودته لصنع أنواع العجائن[2].

هذا ما ذهب إليه أيضا مارمول كربخال في كتابه إفريقيا، أن سكان بجاية ينتجون كميات كبيرة من القمح والذي اعتبر مع الشعير من المواد الأساسية التي يستهلكها السكان[3].

إلى جانب محصول القمح اهتم الجزائريون أيضا بزراعة الشعير الذي كان في المرتبة الثانية بعد القمح، حيث أن أغلب الفلاحين بالجزائر كانوا يقومون بالمزاوجة بين زراعة المحصولين مع التفريق بينهما في أماكن الحرث، نجد زراعة الشعير بصفة خاصة فيالهضاب العليا وبلاد القبائل ودلس والحضنة[4]، حيث أن مدينة وهران وسكان بجاية كان غذائهم الرئيسي خبز الشعير[5].

وباعتبار هاذين المنتجين من الغلات المهمة التي تزرع تقريبا في أغلب مدن الجزائر، سيطرت الدولة على عدد من الأراضي المخصصة لزراعتهما[6].

ب – الأشجارالمثمرة:

من المنتجات الزراعية الأخرى المنتشرة في المدن الجزائرية، نجد الأشجار المثمرة حيث ارتبطت زراعتها بالمناطق الجبلية ببلاد القبائل وطرارة والمدية وغيرها[1]، أين نجد التين والزيتون والبرتقال والعنب

---

[1]– سعيدوني، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص 174.

[2]– وليام شالر، **قنصل أمريكا بالجزائر (1816–1824م)**، تع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 29 – 30 .

[3] – مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر وآخرون، ج2، دط، مطابع المعارف الجديدة 1988–1989م، ص 376.

[4]– مصطفى عبيد، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (في العهد العثماني)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، دط، جامعة المسيلة، دت ، ص 67.

[5]– الوزان، المصدر السابق ، ص ص 30–51.

[6]–سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 175.

والخوخ والكرز والمشمش وغيرها، ويعود الفضل في تحسن زراعتها إلى الأندلسيين خاصة في الفترة الأولى من العهد العثماني.

كما نجد مدينة هنين[2] التي تميزت بمنتجاتها الوافرة من الثمار كالمشمش والتفاح والخوخ والإجاص وما لا يحصى من التين والزيتون، وكذلك أشجار الخروب التي وجدت في كل من جبال مطغرة وجبل بني بزناست، نقاوس[3] وتبسة التي وجدت فيها أشجار الجوز[4].

يؤكد مارمول كاربخال ما وصفه الحسن الوزان حول الأشجار المثمرة، من حيث أن الجزائر كانت تحتوي على عدد كبير منها، سواء في السهول أو الجبال أو الصحراء، حيث أعطى مدينة بسكرة كمثال عن ما توفر بها من نخيلها وفواكهها وزرعهاالكثير[5]، هذا ما ذكره أيضا الحسن بن محمد الورتلاني في كتابه "نزهةالأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"،، بالإضافة إلى مدينة طولقة وما توفر فيها من خيرات[6].

كما نجد من بين الذين اهتموا بأشجار التين والزيتون اهتماما بالغا سكان بجاية، حيث زرعت في جهات واسعة ومختلفة، خاصة حول السهول وبالمناطق الجبلية واعتبرت من المزروعات القديمة التي انتشرت بالمنطقة، إلى جانب هذه الأشجار وجدت أنواع أخرى إلا أن كمياتها قليلة خاصة ما يتعلق بالتفاح والأجاص والمشمش والخوخ والرمان والعنب[7]، وباعتبار أن هذه المواد غير قابلة للتخزين فإنها موجهة للتصدير أكثر منها للاستهلاك المحلي.

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني1792-1830**، ط3، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، دت، ص 32.

[2]- ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب. أنظر: شهاب الدين الحموي، **معجم البلدان**، م5، دار صادر، بيروت،1397هـ-1977م، ص 419.

[3]- تتاخم نوميديا...تقع على بعد مائة وثمانين ميلا من البحر الأبيض المتوسط، وثمانين ميلا من المسيلة، أنظر الوزان، ص53.

[4] - الوزان، المصدر السابق، ص ص 15- 64.

[5]- كاربخال، المصدر السابق، ص 296 .

[6]- الحسن بن محمد الورتلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**،مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر 1362هـ-1908م، ص88.

[7]- نبيلة بومولة، **صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني إمارة المقرانيين في القرن 16م 10هـ**، دط، ددن، دت، دب، ص 33.

من أكد هذه المعلومات كذلك حمدان خوجة الذي ذكر أن هذه القبائل تأكل التين المجفف،كما كان لديهم أشجار مثمرة كثيرة، اضافة إلى كل هذه المناطق السابقة الذكر امتازت نواحي برشيك بمنتوجاتها الجيدة والمتنوعة من الثمار السابقة الذكر خاصة التين المجفف، بالإضافة إلى فحوص شرشال والقليعة والبليدة والجزائر وندرومة التي اختصت بثمار متنوعة تمثلت في التوت الأبيض والأسود، ومزارع البرتقال وحقول العنب وأشجار الخروب[1].

يطبق هذا على منطقة تلمسان التي ذكرها مارمول كربخال في كتابه إفريقيا، أنها احتوت كم هائل من أشجار الزيتون المستخرج منها كميات كبيرة من الزيت وفيهاجميع أنواع الفواكه والكروم[2]، وامتازت عنابة بأشجار العناب التي عرفت بها لكثرتها[3].

أما بالنسبة للعسل والشمع فكانا ينتجان في الجهات الشرقية من الجزائر، كإقليم عنابة والقالة والأقاليم الجبلية في بايلكالغرب الممتدة من رأس فالكون إلى الحدود المغربية، التي يستهلك منه جزء ويبيعون الباقي لوكلاء البايلك[4]،دون غض النظر عن الشمع الذي يجنى منه والذي اشتهرت به منطقة القل[5].

. منتوجات أخرى:

بالإضافة إلى الحبوب والأشجار المثمرة نجد:

الكتان والقطن: كان القطن ينبت في سهول مينا والشلف وجهات مستغانم، يوجه محصوله إلى المدن لمعالجة خيوطه التي تستعمل في نسج الملابس، أما الكتان كان الجزائريون يقومون بفلاحته

[1]- حمدان خوجة، **المرآة**، تق و تع: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005، ص 25 .

[2]- كربخال، المصدر السابق، ص 299 .

[3]- التمغروطي، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تر: عبد اللطيف الشاذلي، دط، المطبعة الملكية،الرباط 1423هـ - 2002، ص38 .

[4] - سعيدوني، تاريخ الجزائر ....، المرجع السابق، ص 176.

[5]- الوزان، المصدر السابق، ص ص 14-55.

في جهات متعددة ويعتبر من النوع الممتاز فيرسل لقسنطينة[1]، أيضا يزرع في بونه وبرشك وبكثرة في جبال بجاية[2].

كذلك **التبغ والدخان والقنب** :زرع التبغ في نواحي عنابة والجزائر، وبعض الواحات الصحراوية بكميات كبيرة، تميز تبغ وادي سوف الممزوج بالحشائش الطبيعية بنكهته الجيدة واستهلاكه من قبل المدخنين حتى أصبح القنطار منه يباع بما لا يقل عن 20 بوجو[3]، كما أنتج بالسهل المتيجي خاصة منطقة الشبلي، التي اشتهرت به باعتباره من أهم الغلاة التي تصدر للخارج، حت عدّ من أرقى أنواع التبغ في العالم وزاد الطلب عليه في المشرق العربي وتونس وطرابلس[4]، كما أنتج الحشيش في قسنطينة بالإضافة إلى القنب الذي زرع في جبال بجاية والدخان في قصر ايسلي وتبحريت[5].

ب . الثروة الحيوانية :

توجه أغلب السكان في الجزائر في العهد العثماني إلى تربية الحيوانات[6]، حيث كانت تتوفر على أعداد ضخمة من البقر والماعز والأغنام والبغال والحمير، وجّهت أغلب هذه الحيوانات في استعمالها كوسيلة للتنقل وجر العربات[7]، ففي صحراء أنكاد كانت تعيش أعدادا كبيرة من الغزلان،كما اعتنى سكان إقليم بني راشد بماشيتهم إضافة إلى الجمال والخيل، وقد وجدت الماشية والخيل على مستوى كل الجبال الجزائرية[8].

---

[1]- سعيدوني، نفسه، ص 117.

[2]- الوزان، نفسه، ص ص33- 66.

[3]- سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 176.

[4]- عبد القادرحليمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، ط1 ،1972، ص 117 .

[5]- الوزان، المصدر السابق، ص ص12- 56.

[6]-Shaw(t)،**voyage dans la régence d'Alger**، trad. de l'anglais par j.mac carthy، 2ed، éd bouslama، Tunis 1980،p، 39.

[7]-سعيدوني، نفسه، ص 177.

[8]- الوزان، نفسه، ص ص11- 46.

كذلك وجدت أنواعا أخرى من الحيوانات كالدواجن، الثيران، الحيوانات البرية كالوعول، الأرنب الحجل، وفي أطراف الصحراء الظباء والغزلان، الماعز الوحشي، النمور، الأسد، الفهد، الضبع[1].

كما خصصت مساحات كبيرة بإقليم مدينة الجزائر للرعي وتربية الحيوانات التي اعتبرت جانبا من الاقتصاد، كالضأن والأغنام والماعز والأبقار، أمابالنسبة للبغال والحمير فاستعملت كوسائل للنقل[2].

أما بالنسبة للثروة السمكية فقد اشتهر بحر الجزائر بأسماكه المتنوعة[3]،كمنطقة دلس التي تعوّد سكانها على اصطياد السمك الذي لا يباع ولا يشترى وإنما يهدى لمن يرغب فيه[4].

[1]- شالر، المرجع السابق، ص ص 33- 34 .

[2]- حليمي، المرجع السابق، ص ص 294.297. أيضا المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني(العملة والأسعار والمداخيل)**، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009، ص166.

[3]- شالر، المرجع السابق، ص 32 .

[4]- الوزان، المصدر السابق، ص 42.

المطلب الثاني: الصناعة وعوامل ازدهارها.

إذا تطلعنا إلى النشاط الصناعي في الجزائر نجد أنه لم يكن متطورا بالمفهوم الحالي، حيث ارتكز في غالب الأمر على الصناعات اليدوية كصناعة النسيج والأحذية، الدباغة والخشب والزجاج ومواد البناء والسفن والخزف والمواد الغذائية، تركزت جل هذه الصناعات بالمدن الكبرى كالجزائر، المدية وهران وتلمسان، قسنطينة وعنابة.

وُجد مثلا في مدينة قسنطينة 33 مصنعا لدباغة الجلود و176 معملا للأحذية، وفي تلمسان 500 مصنع للنسيج والخشب والجلدوالحديد[1]، كانت الصناعة المحلية منظمة تنظيما دقيقا، حيث انخرط الحرفيون في نقابات حسب التخصص، أين نجد شارع الدكاكين والتجار والحدادين وغيرهم[2]، يؤكد هذا الوزان من خلال قوله: أن سكان وهران صناع وحاكة نفس الشيء بمستغانم ومليانة والقل وقسنطينة[3].

من الصناعات النسيجية التي عرفت بها هاته المناطق وغيرها، صناعة البرانس والزرابي والحصر، والأحزمة والأقمشة بقلعة بني راشد والأطلس الصحراوي ومازونة، بالإضافة إلى مهن الحدادة وصنع الأسلحة بمناطق جرجرة، والحلي والأحذية والشواشي بمدينة الجزائر[4].

كما تميزت مدينة بجاية بوجود عدد من الصنائع، يعود الفضل في ذلك لوجود الأصواف والجلود التي تستعمل في صناعة السروج والملابس وتجليد الكتب، أما القطن والكتان لصناعة النسيج والأقمشة والعمائم المطرزة بالذهب التي اشتهرت به، كما توفرت على الطين الملائم لصناعة الفخار والأواني المنزلية المختلفة، ومعادن كالحديد للصناعة الحربية والدروع والسيوف وبقية العتاد[5].

عرفت أيضا بزفتها وقطرانها الجيد الموجودان بكميات كبيرة، يستعملان في صناعة المراكب والأساطيل البحرية، مما أهّل دار صناعتها أن تتبوء مكانة مرموقة في هذا المجال، كما امتاز مجتمع

---

[1]- عمورة عمار ، **موجز تاريخ الجزائر**، ط1 ، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2002، ص 106.

[2]- سعيدوني، تاريخ الجزائر...،المرجع السابق، ص180.

[3]- الوزان، ،المصدر السابق، ص ص30،56.

[4]- سعيدوني، النظام المالي...،المرجع السابق، ص ص34،35.

[5]-محمد الشريف سيدي موسى، **الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع هجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (7إلى16) م**، مذكرة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2001-2000 ، ص 35.

بجاية بصناعة القارورات والأجاريف البلارية التي كانت تصنع بالذهب وتزين بالخط العربي الجميل، على اختلاف أنواعه وأشكاله منذ العهد الحمادي، لكن شهرة بجاية تعود بالدرجة الأولى إلى صناعة الشمع الذي كثيرا ما لجأ إليه الأوربيون حتى عرفت المدينة باسم الشمعة[1].

يدل هذا على تميز المدن الجزائرية باحتوائها العديد من الصناعات التي عرفت بالتنوع والإتقان والتنظيم، توزعت على عدد من النقابات المهنية، فإذا تناولنا قسنطينة كنموذج نجد أن عدد الحرف بها ناهز العشرين وعلى رأس كل حرفة أمين[2]، نفس الأمر في مدينة الجزائر نظرا لكثرة الحرف بها وضع لكل حرفة أمين يعرف بالصنعة التي يشرف عليها، مثل أمين الفضة والخياطين والعطارين والطرازين، السراجين والدباغين والنجارين[3].

إذا عدنا للصناعة أو الحرفة في حد ذاتها، نجد الكثير يفرق بين هذين المصطلحين ويميز بينهما، حيث جعل مفهوم الصناعة أضيق وحصر فيما هو مكتسب بالممارسة والتمرن، ومن ثم فالحرفة أشمل والصناعة عند هؤلاء عمل يقتضي استعمال الأيدي والأعمال اليدوية، وتقول عائشة غطاس في تعريف الحرفة نقلا عن صاحب قاموس الصناعات الدمشقية(...**ومن الصنائع فهي ثانيتها ومتأخرة عنها، أي عن الفلاحة لأنها مركبة وعلمية تصرف فيها الأفكار والأنظار، وهي لا توجد غالبا إلا في أهل الحضر**...).

أما بالنسبة للفرق بين الصناعة والحرفة تذكر عائشة غطاس نقلا عن القاسمي أن الصناعة هي كل ما يشتغل به الإنسان ومارسه حتى صار ملكة فيه، فالصناعة هي العمل المتعلقبكيفية الأداء والملكة هي الكيفية الراسخة في الذهن، من أسمائها الحرفة لأن الإنسان ينحرف إليها أي يميل لها[4].

---

[1]-سيدي موسى، المرجع السابق، ص 35.

[2]- الصلاحيات والمسؤوليات المنوطة به تتمثل في مراقبة الأسواق وكل ما يتصل بها، أنظر، عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون1700-1830م**، أطروحة الدكتورة، تخصص تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص182.

[3]-سعيدوني، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص180.

[4] غطاس، نفسه، ص ص 146-147.

– عوامل ازدهارها:

هناك عدة عوامل ساهمت في تطور الصناعة في الجزائر بداية العهد العثماني من بينها:

. ازدهار الحواضر الجزائرية في المرحلة الأولى من الانضمام، بفضل السياسة التي اتبعها الحكام الأوائل، من خلال نشاطهم في المجال البحري الذي انعكست إيراداته على المجال الصناعي.

. دور مهاجري الأندلس الذين استقروا بالمدن الساحلية، حيث طوّروا تقنيات الزراعة فيها وقاموا بإنشاء ورشات صناعية، كمصانع الأسلحة، السفن والصناعة التحويلية، المطرزات والمخمل والزرابي والصناعات الغذائية[1].

. الاعتماد على الموارد الأولية المتوفرة في البلاد كالأصواف والجلود والأخشاب والمعادن المختلفة كالنحاس والفضة والرصاص والحديد والرخام، أين نجد منطقة الونشريس تزخر بمناجم الرصاص والحديد والفضة، أما زكار وبني سليمان وجرجرة يوجد فيها معادن الحديد، بالنسبة لمنطقة الجنوب فهي معروفة بإنتاجها للفضة.

. تميزت كل تلك الصنائع بالدقة والإتقان.

. اتصفت الصناعة بالأرياف بالبساطة، لأنها موجهة لسد حاجياتهم وتوفير متطلبات العيش كالأدوات الفخارية والخشبية والطينية والأسلحة والأحزمة بالإضافة إلى الحاجيات الأخرى.

. استمدت طريقة صنعها ومواصفاتها من تقاليد الماضي البعيد، ما جعلها ذات طابع وراثي سواء في المدن أو الأرياف، فالمدن مثلا أصبحت ترتبط بحياة الأسرة وترابط الطائفة والأقلية، أما الأرياف أصبحت تمثل عادات وتقاليد أهل المنطقة مثل مناطق جرجرة ومدن تلمسان والجزائر وقسنطينة، حيث وجد فيها عدد من الأندلسيين واليهود والحضر داخل هذه المدن[2].

[1] – درياس، المرجع السابق، ص 13.

[2] سعيدوني، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص ص194- 195.

ج -أنواعها:

كان للفن الحرفي دور في اقتصاد الجزائر وسبب في نشوء معظم أسواقها، إذ تعددت بها ورشات الحرف التي كانت مادة ربح وكسب كبيرين، لها خاصيتها ومميزاتها وطابعها المحلي فذهبت في بعض الأحيان للتصدير، من هذه الحرف نذكر:

الصناعةالنسيجية:

تمثلت في نسج وطرز أنواع من الأقمشة الحريرية والقطيفة والكتان والصوف والحرير، التي تصنع منه الألبسة والسراويل والبرانس والحياك وغيرها[1]، فقد وجدت بالجزائر أقمشة من الكتان يلبسها الأهالي وحاشيات من الحرير مختلفة الألوان والطول والعرض، هي أتقن صنعا وأمتن من التي كانت تصنع بأوروبا، حيث قدر عمال النسيج بمدينة الجزائر في الربع الأول من القرن 16م، مالا يقل عن 3000صانع، بالإضافة إلى هذا اشتهرت مصانع الحرير الأندلسية بالمدن الجزائرية كالقليعة وشرشال وأيضا برشك بجودتها[2]، فكان للأندلسيين دور واسع فيها، أين تمكنوا من امتهان معظم الحرف واحتكروا الاشتغال بها، فالكثير من الصناعات النسيجية ارتبطت بالوجود الأندلسي بالجزائر، نجد منها على سبيل المثال نسج القطيفة، المخمل، وصناعة الشاشية التي توارثتها المهاجرات الأندلسيات عن أمهاتهم[3]، هذا ما تناوله الوزان من خلال ذكره كمثال مدينة تبحريت التي رأى في أهلها الغالبية منهم نساجون[4].

بالنسبة لعملية النسيج فإنها تتم عبر مراحل يتم من خلالها القيام بمهارات حرفية تستعمل فيها الصوف وشعر المعز وتستخدم آلات النسيج الكثيرة في البيوت الريفية وتخصص أجود أنواع الصوف، وهي تتميز بقوتها ومرونتها، هذا وتوجه الصوف المحضرة بمدينة البليدة لصناعة شاشيات

---

[1]-زهية بن كردية ، **أسواق مدينة الجزائر من الفتح الاسلامي إلى العهد العثماني**، مذكر لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 1999-2000، ص 56.

[2]- نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء الحكم التركي**، دط، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، دت، ص165.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، **دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبري والوجود الأندلسي بالجزائر**،ط2،البصائر،الجزائر،ص22.

[4] الوزان، المصدر السابق، ص15.

مدينة الجزائر[1] من خلالها تصنع الأنسجة وتوجه لحرفيي مدينتي الجزائر والبليدة المختصين في صناعة الشالات وأوشحة الشاشيات والأغطية، كما انفردت قبائل جهات مدينة البليدة وعنابة بصناعة الملابسكالبرانس وأغطية ذات جودة عالية، واهتمت النساء في بعض المناطق مثل بني صالح والزواتنة ويسر وبن مناصر في نسيج الصوف ليتم من خلالها صناعة البرانس والقندورات والشلالات[2]، كان يتم صباغة الملابس الصوفية في أربعة مصانع معدة لهذا الغرض[3].

. الصباغة:

اعتنى صناع وحرفي الجزائر بصباغة منسوجاتهم الحريرية والصوفية التي جلبت أنظار المهتمين بالألوان نظرا لجمالها وجاذبيتها اهتم بها العديد من السكان، حيث يذكر الوزان في هذا: **أن سكان مدينة العباد ودلس معظمهم صباغون**[4]، إذ كانوا يملكون مواد نباتية تعطي المنسوجات ألوانا راسخة ومتينة، كما يذكر ليسو ويلد في كتابه رحلة طريفة في ايالة الجزائر أن سكان الجزائر يعالجون الأصواف معالجة دقيقة تمنحها قابلية لاتخاذ كل الألوان[5]، إذ كانت تتم عملية الصباغة مباشرة بعد غزلها بطرق وأساليب بسيطة ومتقنة في نفس الوقت، باستعمال مواد محلية مثل غبار المعادن والنيلة وغيرها، أن هؤلاء الصباغون والدباغون كانوا يقومون بصبغ الأقمشة داخل الدكاكين بعيدا عن التجمعات السكانية، لأنها عادة ما تنبعث عنها الروائح الكريهة الناتجة عن معالجة الأصباغ[6].

من أهم هذه المواد التي تدخل في صباغة الأنسجة نجد:

القرمز وهو مادة معدنية يعطي اللون الأصفر والأحمر،**الزنجار** وهو النحاس، **مادة المريق** وهي حيوان البحر من فصيلة الرخويات ذات الأصداف يتحصل منه على ألوان عديدة ، **النيلة** هي

---

[1] سعيدوني، الحياة الريفية...، المرجع السابق، ص ص274-275.

[2] -نفسه، ص275.

[3] - ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، دار البصائر،الجزائر، 2009، 466.

[4] - الوزان، المصدر السابق، ص ص24- 42.

[5] - ويلد، **رحلة طريفة في أيالة الجزائر**، تر: محمد جيجلي، ط02، دار الأمة، الجزائر، 2002، ص 10 .

[6] - شريفة طيان، **ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني**، رسالة لنيل الماجستير، جامعة الجزائر،1991- 1990، ص52.

بقايا نباتية سهلة التبلور وتعطي اللون الأزرق، **الشب** الذي يتميز بخاصيته في المحافظة على عدم تغير الأصباغ[1].

.الدباغة:

بالإضافة إلى الصباغة اهتم الجزائريون بالدباغة التي ارتبطت بالصناعة الجلدية والتي عرفت ازدهار، ويرجع ذلك لتوفر الثروة الحيوانية من أغنام وأبقار وماعز، ما سمح بتوفر معامل لدباغة الجلود، استعملت فيها مواد الدباغة المجلوبة من الأوراس أو بلاد القبائل، المصنوعة من قشور البلوط[2]، حيث يشير الوزان إلى بعض المناطق الجزائرية مثل جبال بني بوسعيد التي توفرت فيها الجلود[3]، ما جعل هذه الحرفة تلقى رواجا كبيرا، أين كانت ملونة بالأسود والأحمر، الأصفر والبنفسجي، تصنع منها أحذية للرجال والنساء ومحافظ للأوراق، استعملت أيضا لوضع النقود محكّمة الصنع مطرزة بالذهب والفضة، كما صنعت السروج والأحزمة[4].

. الحدادة ومعالجة المعادن:

إن انتشار الصناعة المعدنية لدليل على وجود مناجم في البلاد لاستخراج المادة الأولية، فقد ذكرت المصادر أن هناك مناجم في كل من جبال بجاية يستخرج منها الرصاص والنحاس والحديد ويصنعون من هذه المواد الذخيرة، والحلي والسكاكين والسيوف والأدوات الفلاحية كالمحراث والفؤوس والمناجل التي كانوا يبيعونها لسكان السهول[5]، وفي هذا يذكر الوزان قائلا:(**في جبال زواوة في هذه الجبال معادن حديد** ...[6])، وهذا ما أكده وليام شالر عن توفر هاته المعادن بالجزائر وجبال القبائل[7].

---

[1]- طيان، المرجع السابق، ص 53 .

[2] - صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي1514-1830**، دط، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 338 .

[3]- الوزان، المصدر السابق، ص 45.

[4]-عبد القادر، المرجع السابق، ص 145 .

[5]- شويتام، المرجع السابق، ص226.

[6]- الوزان، نفسه، ص101.

[7]- شالر، المرجع السابق، ص 70.

كما وجدت حرف أخرىنذكرمنها:

. **صناعة الزرابي**: كانت تنتج في عدة جهات من الجزائر، اختصت بها المناطق الغربية التي غلب عليها الطابع الأندلسي منذ هجرتهم إلى الجزائر، حيث قاموا بنقل هذا الموروث الثقافيخاصة في مناطق هنين وتلمسان وقلعة بني راشد[1]، يذكر في هذا الصدد ليسو ويلد(...**أن الجزائريون ينسجون زرابي تنافس زرابي سميرون والقسطنطينية**)[2].

عرفت كل جهة بأسلوبها الخاص ورسوماتها المميزة، فهناك زرابي الشلالة ومستغانم والأطلس الصحراوي والنمامشة والقرقور وعمور وقلعة بني راشد، هذا وقد فاقت زرابي قلعة بني راشد جميع أصناف الزرابي الأخرى وأصبحت تصدر إلى المشرق العربي وتسوق إلى استانبول، نظرا لدقة صنعها وتميزها بطابع محلي وأسلوب أندلسي، وأشكال ورسوم أناضولية جميلة بمعنى أن مهنة الزرابي كانت نتاج خليط من الثقافات المستمدة من مختلف المناطق[3].

كان من أهل الحرف كذلك من يصنعون البابوجات والبلاغي والشواشي من القطيفة والسروج للخيل وصناديق اللوح الملونة[4]، نجد صناعة الخيوط الذهبية في حي القياسرية كما اشتهرت مدينة الجزائر بصناعة الأواني المعدنية كما كانت تصنع الأواني الطينية خارج باب الواد، أما صناعة الحلي والأحجار الكريمة فهي من اختصاص أفراد الجالية اليهودية بالجزائر وبعض الحضر من الأندلسيين والكراغلة وأهل تلمسان وقسنطينة والجزائر، حققت هذه الصناعة أرباحا طائلة جراء صناعة أنواع مختلفة من الحلي[5].

---

[1]-هيلايلي، **أبحاث ودراسات في التاريخ الموريسكي**، دط، دار الهدى لطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، دت، ص ص132،129.

[2]- ويلد، المصدر السابق، ص20.

[3]- سعيدوني، تاريخ الجزائر...، ص192.

[4]- عبد القادر، المرجع السابق، ص146.

[5]- سعيدوني، نفسه، ص194.

إضافة إلى صناعة العطور التي كان يتم استخراجها من الورد هذا ما نلاحظه في قول ليسو ويلد على سبيل المثال (...**براعتهم في استخراج عطر الورد والياسمين فهم يتقنون صنعه اتقانا لايمكن أن يبلغه الكيميائيون من ذوي الخبرة...**)[1].

كانت الصناعات التقليدية تلبي بمافيه الكفاية حاجيات السكان من القماش والحرير، ففي حوض البحر الأبيض المتوسط يفتخر بالصناعة التقليدية الجزائرية هاته المنتجاتنافست الصناعة النسيجية في ليفورن[2] .

كما عرفت صناعة المخمل والحرير ازدهار كبيرا في مدن الجزائر وشرشال وبرشك ، واستعملت في أوائل العهد العثماني خيوط الحرير التي تنتج محليا من شرانق دودة القز التي كانت تربي في حقول أشجار التوت بمنطقة الساحل بالقرب من شرشال وتنس ثم أصبحت هذه الصناعة بعد أن ضعف الإنتاج المحلي تعتمد أساسا على الحرير المستورد عن طريق البحر من أزمير وسالونيك وبيروت، أما صناعة المنتوجات المعتمدة على الإنتاج المحلي من الصوف فكانت توفر الأغطية والجلابيب والأحزمة في كل من قسنطينة وتلمسان ومعسكر التي اشتهرت بهذا النوع من النسيج كما انتشرت صناعة البرانس في أغلب جهات البلاد التي كان من أشهرها برانس الأطلس الصحراوي وزمورة ومعسكر التي كانت تباع ب100فرنك[3].

.صناعة الشاشية والتطريز:

لقد ظلت مدينة الجزائر المركز الرئيسي لصناعة المنتوجات وعلى رأسها الشاشية وأعمال التطريز، مما ساعد على ازدهارها لاعتناء العائلات الأندلسية بها وتوارث طريقة صنعها من جيل إلى جيل، كانت تتم باستعمال خيوط الذهب والفضة لتطريز القياطين والطفارة وغيرها من ملابس القطيفة المخمل والحرير، أيضا الأدوات الجلدية والسروج والمحافظ الصغيرة والكبيرة هذا وقد ارتبطت أساليب التطريز بنسج المعلقات والشبكات والتبيقة التي أتقن تشكيلها الفتيات الأندلسيات اللواتي توارثنها عن أمهاتهم بمدن تلمسان والجزائر وشرشال[4].

---

[1]- ويلد، المصدر السابق، ص34.

[2]- اشبودان، المرجع السابق، ص70.

[3]- نفسه، ص191.

[4]- سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص193.

. صناعة السفن :

إن الدور الهام الذي لعبته الملاحة الجزائرية في العهد العثماني أدى إلى الاعتناء بصناعة السفن والمراكب المختلفة الأحجام[1]، حيث كانت أغلب المراسي الجزائرية تتوفر على ترسانات مجهزة لصنع السفن والقوارب، قد وجدت ورشات صناعة السفن في جيجل شرشال وبجاية،أين كان يتم صنع سفن تتجاوز حمولتها 300طن وقد تصل في مراسي الجزائر 400 طن وتكون مجهزة بمدافع[2]، كانت تصنع السفن في المدن المجاورة للغابات لتوفرها على الخشب لتركيب السفن وأشهرها غابات جيجل القل وبجاية، كذلك استورد الأتراك موارد التجهيزات من أوربا الشمالية وهولندا بالخصوص واستخدموا في ورش صناعة السفن الأسرى المسيحيين الذين كانوا على دراية بذلك.

ويتضح هذا من خلال قول الوزان عن شرشال(...**صنعوا كثير من السفن للملاحة**... [3])، ومعنى هذا أن صناعة السفن كانت منتشرة في هذه المدينة خلال الفترة التي تزامنت ورحلة الوزان.

. المراكز الصناعية

كانت الصناعات تتوزع على الكثير من المدن في الجزائر، حيث نجد كل منطقة اختصت بنوع معين من الصناعة وربما بأكثر من نوع، فمثلا تخصصت مدينة الجزائر، شرشال، جيجل وعنابة في صناعة السفن واختصت بلاد القبائل والجزائر وقسنطينة وقلعة بني راشد بالأسلحة والبارود في تلمسان وشرشال، أرزيو وبلاد القبائل والجزائر، تلمسان ومستغانم وبلاد القبائل ازدهرت صناعة المخمل والحرير خاصة في المدن الساحلية كشرشال وبريشك وتنس[4].

كما نجد حسن الوزان يتناول هذه المدن الصناعية فسكان مستغانم وبريشك يستغل سكانها بحياكة الأقمشة، أيضا سكان مدينة ميلة يعملون في نسيج الصوف التي تصنع منه أغطية للأسرة كذلك سكان قسنطينة متحضرون ويمارسون مختلف الحرف وينسجون القماش بكثرة[5].

---

[1]- حليمي، المرجع السابق، ص، 294.

[2]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ4 العهد العثماني**، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص65.

[3]- الوزان، المصدر السابق، ص34.

[4]- درياس، المرجع السابق، ص13.

[5]- الوزان، نفسه، ص ص32،56.

حيث كانت شرشال مستودعا للخشب ومركز معامل لصنع الشماط والحبال والشراع وكانت تصنع في المدن المجاورة للغابات لتوفرها على الخشب لتركيب السفن وأشهرها غابات جيجل والقل وبجاية المكونة من شجر الصنوبر والأرز والبلوط والفلين[1].

فمن مراكز صناعة الأقمشة القطنية والكتانية نذكر مدن ندرومة و مازونة و مستغانم والبليدة والجزائر، فقد اشتهرت مدن ندرومة بجمال ألوانها وجودة نسيجيها كما عرفت مناديل البليدة ازدهار واسع أدى إلى تصديريها[2].

ومما سلف ذكره يمكن القول أن النشاط الزراعي والصناعي بالجزائر استطاع تلبية حاجيات السكان، فالزراعة عرفت بتنوعها من منطقة إلى أخرى من منتجات زراعية وثروة حيوانية، أما الصناعة لم تكن متطورة بالمفهوم الحالي بسبب احتفاظها بطابعها التقليدي ولم يسع العثمانيون إلى محاولة تطويرها.

[1]–عبد الحميد بن زيان بن أشنهو، **الدخول العثماني للجزائر**، دط، ددن،دب، دت، ص99.

[2]– سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص191.

المبحث الثالث:

التجارة في الجزائر العثمانية من خلال

الحسن الوزان.

المطلب الأول: النشاط التجاري وعوامل تطوره

المطلب الثاني: المبادلات التجارية

أ. التجارة الداخلية

ب. التجارة الخارجية

المطلب الثالث :المراكز التجارية.

. المدن

. الأسواق

. الموانئ

المطلب الأول: النشاط التجاري وعوامل ازدهاره:

تعتبر التجارة أحد أهم أوجه النشاط البشري الذي يقوم على التبادل، منافعها بالنسبة للأفراد محصورة في كونها توفر لهم مالا يستطيعون إنتاجه أو ما ينتجونه بقلة، ترتبط مع الميادين الأخرى كالأخلاق والثقافة بفضل الاحتكاكات الدائمة، فهي أحد عناصر الثروة التي تعتمد عليها غالبية الشعوب لترقى إلى مصاف الدول العظمى، فهناك تجارة مبنية على العلاقات الدولية، وتجارة محلية داخل حدود الدولة[1].

بالنسبة للتجارة في الجزائر بداية القرن 16م، قد شهدت تطورا ملحوظا رغم سوء الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها في هاته الفترة، إلا أنها شكلت موردا هاما من الاقتصاد يعود ذلك لتزايد نشاط الجهاد البحري وما نتج عنه من غنائم، أيضا نتيجة لازدهار الحواضر والأرياف بالمنتجات المتنوعة، كما أن التجار لم ينقطعوا عنها حتى في تلك الأوضاع، فقد كانوا يتزودون منها بالبضائع ويرسل مع هؤلاء السلع المتواجدة بالأيالة[2]، حيث كان لحركة التبادل على الصعيدين الداخلي والخارجي تأثير مباشر على الأوضاع المالية بالجزائر[3].

نجد من الموارد التي كان يتم تبادلها خليط من الكماليات والضروريات، فصادراتها للدول الأوربية تمثلت في المواد الموجودة بالبلاد كالشمع والمرجان والحبوب والصوف والجلود، بالمقابل تستورد منها الأقمشة والخردوات وبعض المواد الصناعية، المواد الأولية كالرصاص والنحاس وملح البارود وغيرها، أما بالنسبة لبلاد السودان والمغرب والأيالات العثمانية الأخرى، فكانت تصدر لها المنتجات النسيجية وبعض المواد الحيوانية، تستورد منها العبيد والأقمشة الحريرية، العطور والتوابل والزرابي[4].

---

[1]- محمد العربي الزبيري، **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، ط2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2015، ص 117.

[2]- محمد دراج، **الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس(1512-1543 م)**، ط2، شركة الاصالة للنشر والتوزيع ، 1434هـ- 2013 م، ص 99 .

[3]- سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية ...المرجع السابق، ص 138 .

[4]- محرز أمين، **الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671 م**، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث،جامعة الجزائر، 2007 - 2008،ص 123 .

فما شهدته التجارة من ازدهار في هذا القرن جعل الرحالة يشيدون بها، نجد منهم التمغروطي الذي قال عنها :"...**فبلادهم لذلك أفضل من جميع بلاد إفريقية وأعمر وأكثر تجارا وفضلا، وأنفذ أسواقا وأجود سلعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها إسطنبول الصغرى، هذا راجع لماكانت تزخر به الجزائر في هاته الفترة من صادرات وواردات، سواء على المستوى المحلي بين المدن أو خارجيا مع مختلف الدول الإفريقية والأوربية...**"[1].

أدى تنوع الإنتاج الزراعي والحيواني إلى ازدهار النشاط التجاري، فأصبحت المدن الجزائرية مراكز تجارية مهمة يقصدها السكان من مختلف المناطق لاقتناء لوازمهم الضرورية، هذا ما خلق نوع من الترابط بين الحواضر والأرياف، فكانت مدينة الجزائر مثلا تأتيها المواد الغذائية وغيرها من مزارع المناطق المجاورة لها كالفحوص وسهل متيجة وشرشال والبليدة وغيرها، وحتى من المناطق الجبلية والجنوبية، وبالمقابل تبادلهم بما تمتلك من منتجات[2]، نجد الوزان يشير إلى هذا التبادل من خلال تناوله لمجموعة من المناطق الجزائرية، فعن تلمسان مثلا يقول(...**وأهم أسفارهم التجارية يقومون بها إلى بلاد السودان**...)، أيضا سكان سكيكدة يتاجرون مع الجنويين، وتعد منطقة ميزاب رأس خط تجاري يلتقي فيه تجار الجزائر وبجاية بتجار أرض السودان[3].

.عوامل ازدهار التجارة:

إن التطور الملحوظ الذي عرفته التجارة في العهد العثماني، ساعدت على تنشيطه عدة عوامل التجارة عرفت التجارة في العهد العثماني تطورا ملحوظا، ساعدت على تنشيطها عوامل من بينها نذكر:

-يعتبر موقع الجزائر الاستراتيجي منطقة عبور وملتقى لتجارة بلاد السودان وأوروبا ، ومكانا لمقايضة بضائع المغرب العربي والأقطار العثمانية، هذا ما زاد من أهمية الطرق التي تربط الحواضر

[1]-التمغروطي، المصدر السابق، ص 90 .

[2]-شويتام، المرجع السابق، ص233.

[3]- الوزان، المصدر السابق، ص ص21- 135.

الكبرى كقسنطينة والجزائر بغيرها من المدن كتلمسان ومعسكر، أيضا شهدت انتعاش الواحات الصحراوية كميزاب وعين صالح وغيرها[1].

-إن الاستقرار والأمن الذي عرفته الجزائر بدخول العثمانيين خصوصا بعد إبعاد الخطر الإسباني وبسط نفوذها منذ 1519م، كان أحد عوامل ازدهار تجارتها.

-الشيء الذي ساعد أيضا على انتعاش التجارة، وفرة المنتجات الفلاحية والثروة الحيوانية، إلى جانب الخضر والفواكه والزيت والعسل والشمع[2]، يتضح هذا من خلال ما ذكره الوزان عن حاضرة معسكر التي كان يعقد بها سوقا كل يوم خميس، تباع فيه الماشية والحبوب والزيت والعسل والحبال والسروج وحاجيات الخيل، مما يجعل الأهالي يهتمون بأراضيهم وصنائعهم، أدى إلى وفرة السلع والبضائع.

-أيضا من العوامل تشجيع الحكومة للأسواق التجارية، وذلك من أجل فرض سيطرتها على سكان الارياف عند اجتماعهم في هذه الأسواق.

-مرور القوافل التجارية عبر الأراضي الجزائرية نحو المشرق العربي أو بلاد السودان[3].

[1]- سعيدوني، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص 198.

[2] - نفسه، ص 231 .

[3]- سعيدوني، النظام المالي ...، المرجع السابق، ص 36 .

المطلب الثاني :المبادلات التجارية.

أ–التجارة الداخلية:

كان الاختلاف بين المناطق من حيث التنوع الإنتاج الزراعي والصناعي، سببا في قيام التجارة الداخلية وازدهارها بين المدن،تم ذلك من خلال تبادل منتجات الصحراء وإفريقيا، والمتمثلة أساسا في التمور والماشية والأصواف، بالإضافة إلى ما يتم استقدامه من المناطق الشمالية المتمثلة في الحبوب والزيوت والتين[1]، نجد كل من برشيك، جبال اغبال وجبال بني بوسعيد، نقاوس جبال قسنطينة وتوكرت هاته المناطق التي تناولها حسن الوزان في رحلته ذاكرا على أنها مناطق تجارية، يتم فيها تبادل المنتوجات مع مختلف المناطق، والتي يتم أخذها برا وبحرا، أين كان ينقل كثير من أهل برشيك التين والكتان بحرا إلى الجزائر العاصمة وبجاية[2].

كما كتب الرحالة الأجانب نقلا عن هايدو ونيكولاي دي نيكولاي، الذي يذكر أن المدينة كان لها طابع تجاري وبها سكان من مختلف الأوطان يشتغلون في مختلف التجارات لسد حاجياتهم، كانت هذه الحركة الاقتصادية تجلب القوافل التجارية من داخل البلاد، خاصة قوافل الحجاج وبعض السفن من الشمال عامة[3].

يذكر الوزان أن منطقة تفسرة [4]من المدن التي انتشرت فيها التجارة الداخلية حيث تتم مبادلة الحديد الذي يحمل للبيع في تلمسان وغيرها، أما بني راشد تعقد بها سوق كل يوم اثنين والذي يقصده البربر والاعراب لبيع ماشيتهم وزرعهم وغلاتهم من زيت وعسل وشمع، كما يأتي إليها التجار من تلمسان وبعض المناطق الأخرى بالمنسوجات والبرانس والعباءات وغيرها من متطلبات السوق[5].

---

[1] – شويتام، المرجع السابق، ص133.

[2]– الوزان، المصدر السابق،ص ص33–53 .

[3]– بن كردية، المرجع السابق، ص 54

[4]–مدينة صغيرة تقع على سهل على بعد نحو خمسة عشرة ميلا من تلمسان، أنظر: الوزان، نفسه، ص24.

[5]– مارمول، المصدر السابق ، ص ص 323– 324 .

نجد التمغروطي من خلال كتابه النفحة المسكية في السفارة التركية، الذي يرى أن مدينة بونة– عنابة– معروفة ببلاد العناب، لكثرة أشجاره في المنطقة ويقول أنه يتم إرساله إلى قسنطينة[1].

من بين المدن كذلك نجد مليانة، التي كان سكانها يحملون صناعتهم من سروج وأوعية خشبية لإقليم الزاب، أيضا أشجار البرتقال يتم حملها لبيعها في تنس وغيرها، أما عن سكان معسكر فهم يتاجرون مع بني مزاب، نفس الأمر ينطبق على مدينة ندرومة باعتبار أغلب سكانها يشتغلون في التجارة من خلال نقل أقمشة القطن إلى الجزائر وتلمسان[2].

ب . التجارة الخارجية:

تميزت التجارة الخارجية بازدهارها بداية القرن 16م كما ذكر سالفا، هذا ما نجد الوزان يتناوله من خلال ذكر معظم المدن التي شهدت النشاط التجاري، معرجا على أنواع المبادلات التي تتم في موانئها مثل برشيك التي يتعاملسكانها معتونس[3].

تتوزع الصادرات والواردات الجزائرية في العهد العثماني على الكثير من البلدان الأوروبية والأقطار الإسلامية والإفريقية، قد ساعد على هذا التنوع الصلات التي تربط الجزائر بتلك الدول وحرية التجارة بينهم، أيضا توفر المواد الأولية بشكل كبير، وحاجة هذه الدول إلى تلك المواد، من أهم هذه الصادرات والواردات نذكر :

1. **الصادرات :**

تناولها العديد من المؤرخين أمثال مارمول كاربخال في كتابه إفريقيا، الذي زار الجزائر وذكر مدينة هنين أن مبادلاتها التجارية كانت مع البندقية، التي كانت سفنها تدخل للمدينة كل سنة عند ذهابها لتلمسان،كما تناول تجارة أهالي تلمسان مع غينيا وأهم مايستوردون منها العنبر المسك وغيرها[4].

[1]– التمغروطي، المصدر السابق، ص 38 .
[2]– مارمول، المصدر السابق، ص ص 295 –366 .
[3]– الوزان، المصدر السابق،ص 33.
[4]– مارمول، نفسه، ص296 .

تصدر الجزائر للدول الأوربية كميات من الحبوب والصوف وقطع الجلد، الشمع والعسل، الزيت والدخان، التين المجفف، وبعض المقادير من البقول والحمضيات، الخضر والفواكه[1]، هذا ما يؤكده الوزان بقوله (...**أن مدينة القل بها كمية من الجلود التي تحمل إلى الجنويين**...)[2].

أما صادراتها مع الدول العربية فإنها تصدر إلى السودان القطع النحاسية والآلات الحديدية، الملح والأقمشة القطنية،المنتوجات الصوفية[3]، قسنطينةتصدر الجلود والمواشي وريش النعام، مسحوق البارود الوارد من السودان وجهات الصحراء الشرقية، مقابل المصنوعات الجلدية والحبوب والأقمشة الصوفية، كذلك نجد من المنتجات التبغ الذي هو من الغلات الزراعية المصدرة إلى بلاد المغرب العربي[4]، هذا ما يؤكده الوزان بأن أهم أسفارهم التجارية يقومون بها إلى بلاد السودان[5]، أيضا وفي إطار المبادلات الجزائرية مع المغرب يذكر الدكتور عمار بن خروف أن الجزائر كانت تصدر إلى المغرب السيوف والخناجر، الأقمشة الهندية والأجواخ الإنجليزية، المواد الصباغية الناتجة عن بعض الحشرات، أيضا تصدر لها عن طريق البر وبواسطة القوافل التجارية وقافلة الحج المغربية الحرير المجلوب من تونس والأقمشة الصوفية المصنوعة في واحات الجزائر كالبرانس والحياك، دواب الركوب والماشية والملابس[6].

2. **الواردات:**

ومن الواردات التي كانت تحصل عليها الجزائر مع الدول الأوروبية نذكر البعض منها:

كانت تأتي إلى الجزائر واردات قادمة من انكلترا محملة بالرصاص والقصدير والنحاس والبارود والأقمشة من كل نوع، والمراكب الواردة من إسبانيا خاصة من كتالونيا وفالنسيا، فتحمل الملح والعطور والجواهر والذهب والفضة ومراكب مرسيليا والموانئ الأخرى لفرنسا، فإنها تأتي بجميع أنواع أدوات البزازة والقطن والحديد والفولاذ والمسامير وملح البارود والشب والكبريت والزيت، عندما تقل

[1]– ابن أشنهو، المرجع السابق، ص93.

[2]-الوزان، المصدر السابق، ص55.

[3]- سعيدوني وبوعبدلي، الجزائر في التاريخ ....، المرجع السابق، ص 81.

[4] –سعيدوني، الجانب الاقتصادي ....، المرجع السابق، ص 72 .

[5]–الوزان، نفسه، ص21.

[6]– عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ – 16م**، ج2 ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ،دب، دت، ص59 .

كمياته في المغرب وشحنات من البندق والقسطل[1]، ومن جنوة ونابولي وصقلية، تحمل السفن الحرير المنسوج من كل لون ومنسوجات دمشق، كما تبعث البندقية بالنحاسيات والصناديق والصابون الابيض، ويستورد التجار الأتراك من القسطنطينية المجاديف والقماش والغنائم والخناجر والأحزمة والزرابي والمعالق المنقوشة والأواني الفخارية والصحون والأكواب المرصعة من الإسكندرية، ويستقدم التجار العرب من جزيرة جربة التوابل والتمر ومن تونس زيت الزيتون الجيد والصابون الأبيض.

أماسكان تلمسان فنجد أن من أهم تجارتهم مع غينيا، يأتون منها بالتبر والعنبر والمسك والسنور والزبادي والرقيق السود، يتاجرون بالتبادل محققين الكثير من الربح[2].

و مع دول المغرب والسودان والصحراء، مثلا نجد مدينة قسنطينة ارتبطت تجارتها بقوافل تونس والصحراء، إذ تستورد الشاشيات الحمراء والأحزمة الحريرية والصوفية والجوخ، مختلف عطور الورود والياسمين، كما كانت تونس تمول قسنطينة بمنتجات أوربا من المنسوجات القطنية، الخيط والحرير ومنتوجات سوريا كالعمامات والأقمشة الحريرية، حيث نجد تونس كل سنة ترسل للجزائر سفينة، أهم ما تحمله الأحزمة من الحرير[3]، أما المغرب فقد كانت يصدر إلى الجزائر العسل والصابون، الذهب والأحجار الكريمة والسكر والجلود المدبوغة في تافيلالت التي كانت مشهورة بالجزائر، أيضا البلغات المصنوعة من الجلد، الحياك الصوفية والأنسجة القطنية، السيوف والحديد وغيرها[4].

.القرصنة والأسر:

من موارد التجارة الخارجية نجد أيضا ما يعرف بغنائم الجهاد البحري خاصة بعد تدفق الأندلسيين اثر سقوط غرناطة سنة 1492م، والذي يعرف عند الأوربيين بالقرصنة البحرية[5]، فهي

---

[1] – مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1981، ص 57 .

[2] – نفسه، ص 5.

[3] – صالح عباد، المرجع السابق ص 341.

[4] – بن خروف، المرجع السابق ، ص 59.

[5] – هي نوع من أنواع الحروب البحرية التي تقع بين الدول المتعادية بهدف ضرب اقتصاد الدول المعادية وهي تختلف عن أعمال السرقة وانتشرت القرصنة أكثر بعد اكتشاف القارة الأمريكية، انظر: أحمد توفيق المداني،**حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792م وثائق ودراسات**، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص72.

ممارسة معروفة في جميع بلدان البحر الأبيض المتوسط، كان يتعاطاها المسلمون والمسيحيون[1]، ظلت طيلة القرن 16م عامل حاسم في رواج الحركة الاقتصادية في مدينة الجزائر، إذ كان لخزينة الدولة حصة من هاته المغانم، فكانت تنال من خلالها 12%من أسعار السفن المحتجزة[2]، وتضع تحت تصرفاتها كل الأسلحة المصادرة في عملية القرصنة باعتبارها غنائم حرب مشروعة[3]، وكانت كذلك تفرض على الدول الأوروبية إتاوات مقابل حرية مرور سفنها وهي مضطرة لدفعها سنويا، تختلف من دولة إلى أخرى حسب ظروف كلا الدولتين[4]، وعلى حد قول الوزان الذي كان شاهد عل العصر، أصبحت المدن كوهران وغيرها في ما مضى يجهزون على الدوام سفنا شراعية وأخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة ويجتاحون سواحل قطلونيا وجزر يابسة ومنورقة وميورقة حتىأصبحت المدينة تزخر بالأسرى المسيحين[5].

أصبح تصاعد عمليات القرصنة ملحوظا في الجزائر الغربي للمتوسط خاصة بعد طرد فرسان القديس يوحنا 1523م، الشيء المهم الذي يمكن أن يرسخ خلال القرن 16م، إن القرصنة كانت تثار وتدعم من قبل المدن التي ترغب في أن تصبح مدن تجارية، والتجارة الخارجية ارتبطت خاصة بالقرصنة حيث أولت اهتمامات للغنائم التي كان القراصنة يحضرونها من غزواتهما البحرية[6].

أيضا من مداخيل الثروة نجد عملية الأسر التي شكلت قطاعا قويا وهاما في النشاط التجاري ومن المصادر الرئيسية لودائع الخزينة طيلة القرن 16م، حيث وفرت هذه العملية أموالا طائلة فالدولةكانت تأخذ نصيبا من الأسرى حيث بلغ عددهم ما لا يقلعن 25 ألف، هذا وقد تطلب فداء الأسرى أموالا ضخمة تحصلت عليها خزينة الجزائر من قناصل ومبعوثي الدول الأوروبية ومن

---

[1]– العربي ايشبودان، **مدينة الجزائر تاريخ عاصمة**، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007، ص 71.

[2]– هيلايلي حنيفي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**،ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 1429هـ- 2008 م، ص 73.

[3]– احمد السليماني، **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**، د ط، مطبعة دحلب، الجزائر، د.ت، ص 49 .

[4]– محمد خير فارس، **التاريخ الجزائر الحديثمن الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي**،ط1979،1،د د ن، دت، ص 98.

[5]– الوزان، المصدر السابق، ص 30.

[6] – بلقاسم قرباش، **الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال عهد الدايات (1671–1830)م**، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث الحديث والمعاصر،جامعة معسكر، 2015-2016، ص 53.

البعثات الدينية المسيحية[1]، حيث تدخل في عملية الأسر أثناء البيع والشراء نوعية الأسير، فالذين يتمتعون بكفاءات عالية تأخذهم الدولة ، والآخرون يباعون بالمزاد فكل أسير له قيمته المحددة، مثلا القبودان قائد السفينة يتطلب إطلاق سراحه دفع الفين وخمسمائة قرش، بينما معاونه وصانع السفينة أو الجراح فيدفع عن كل واحد منهم 1500 قرش، أما البحار فعليه تسديد 1000 قرش، ونجد أن الأسرى الألمان غالبا ما يكون ثمن إطلاق سراحهم أغلى من الأخرين لمهاراتهم في شؤون البحرية، فأسيادهم ملزمون بتخليصهم قبل غيرهم[2]، كان هناك سوق أطلق عليه البازستان لبيع هؤلاء الأسرى، كذلك نجد قسم آخر وهم العجزة ومن ذوي العاهات وهم أقل قيمة حيث اشتراهم الفلاحون من أجل الفلاحة كجر المحراث ومنحنون تحت حجر الرحى، وهم محرومون من أن يكونوا أحرار[3].

حاولت الدولة السيطرة على بعض الأموال من مداخيل التجارة سواء الصادرات أو الواردات حيث أنها فرضت رسوم وضرائب[4]على هذه المواد، فمثلا نذكر أنه في مدينة الجزائر كان الرسم الجمركي محدد بنسبة11%، كذلك نجد نسبة الرسم المطبقة على الجلد والعسل والغنائم التي يكسبها القراصنة تتراوح بين 5% و8%، كما فرضت أيضا على الأموال المتروكة بدون وريث وعلى الميناء، ولم تكن هذه الرسوم تخضع لنظام ثابت ومحدد بل كانت تختلف من مرحلة إلى أخرى، وقد قدرت الواردات بشكل عام حوالي 50 ألف دوقة من الذهب، أما الواردات الزائدة عن احتياج الأمراء والقادة في مناطقهم فقد كانت ترسل للمركز[5]، يذكر حسن الوزان أن الملك يستفيد من دخول وخروج الضرائب، حيث ارتأ أن يفرض ضرائبا ورسوما تجارية على تلمسان[6].

---

[1]- سعيدوني، الجانب الاقتصادي ...، المرجع السابق، ص 29 .

[2]- كورين شوفاليه، **الثلاثين مائة الاولى لقيام دولة الجزائر 1517-1540**، تر: جمال حمدان، د م ج، 2019، ص ص 38-71 .

[3]- سعيدوني، نفسه، 29.

[4]- وبغية جمع هذه الضرائب المحددة كانت الدولة تشكل مفرزة من العسكر كل سنة وتبدا عملها بين شهر ماي وأكتوبر، وتتجول على القرى والقبائل وتجمع هذه الضرائب المفروضة عليهم ، ويطلق على هذه المفرزة (مفرزة التحصيلات المحلية) : انظر عزيز سامح آلتر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1409هـ-1989م، ص 141 .

[5]- نفسه، ص 141 .

[6]- الوزان، المصدر السابق، ص 21.

ت .العملات المتداولة في التبادل التجاري :

اعتمد تجار الجزائر على المقايضة[1] في مبادلاتهم التجارية مع الدول حيث يذكر الوزان أن سكان سكيكدة كانوا يتاجرون مع الجنويين فدفع لهم القمح مقابل الأقمشة[2]، إلى جانب المقايضة نجد الدفع نقدا، من خلال عملات معدنية، تعتبر العملة[3] المحرك الأساسي للتجارة في الجزائر أوائل العهد العثماني خاصة في الحواضر حيث أنه أختلف التعامل بها بين الحاضرة والريف، نجد شيوع العملة الإسبانية بين السكان نتيجة لمجيء الأندلسيون الذين جاؤوا بعملتهم معهم المسمات بالريال، أيضا من العملات التي سيطرت في التعامل بين الجزائر والدول الأوروبية عند المبادلات أو دفع الإتاوات، نجد المحبوب السلطاني إلى جانب العملات المحلية، كانت كذلك الأقطار المغربية منفتحة على بعض العملات الإنجليزية كالبياستر واشهرها البياستر القسنطيني والريال، فقد استعملت الجزائر في تجارتها البياستر العملة النمساوية، الكورى السوداني وخاصة منها الفرنك الفرنسي والبياستر الاسباني[4]، ومن العملات كذلك المتداولة ما يذكر حسن الوزان أنه في مدينة قسنطينة وتلمسان يتعاملون بالبايوتشي[5].

---

[1]– كانت رائجة في القرن 16م وذلك لنقص العملة وندرتها في كثير من المناطق،لكن أسلوب المقايضة تراجع أمام ظهور العملة في النصف الثاني من ق16م،حيث شهدت هذه الفترة تدفق الفضة والذهب على أوربا من أمريكا، وازدهار الغزو البحري الجزائري وكثرة غنائمه، مع ازدهار التجارة مع أوربا، مما أوجد العملة النقدية، وكثرة تداولها بين الناس واستعمالها في البيع والشراء، انظر: بن خروف، المرجع السابق ص 61.

[2]–بن خروف، نفسه، ص 55.

[3]– انطلق سك العملة في الفترة العثمانية مع البايلرباي خير الدين بربروس، وحملت أسماء السلاطين العثمانيين ،واستمر هذا الأمر إلى غاية 1830م ، إذ يوجد على الوجه الأول من القطعة النقدية عبارة "ضربت بالجزائر بتاريخ ..."، وعلى الوجه الثاني عبارة سلطان البرين والبحرين، وأحيانا توجد عبارة "ليحفظه الله ويوفقه ، انظر : سعيداني، المرجع السابق ،ص 235 . ونحوى طوبال ،**يهود مدينة الجزائر خلال عهد الدايات 1700–1830من خلال سجلات المحاكم الشرعية** ، دط، نشر وزارة الثقافة، دد ن، دت، ص ص257–258.

[4]– سعيداني، نفسه، ص 235 .

[5]– وهو عملة ايطالية قيمتها نحو 7 سنتيمات ذهب، انظر الوزان، المصدر السابق، ص 56 .

المطلب الثالث :المراكز التجارية

ارتبطت التجارة الداخلية والخارجية بالأسواق والموانئ التي تحولت إلى مراكز تجارية، أصبحت المدن المهمة محاور رئيسية للنشاط التجاري فهي تعد محطات للتصدير ومستودعات للإنتاج المحلي ومراكز استيراد البضائع والسلع من الخارج ،هذا ما ساعدا على تطوير التجارة وانتشار الأسواق،من هذه المدن التي تناولها حسن الوزان في كتابه محددا تعاملاتها الداخلية والخارجية مدينة هنين وتلمسان، تفسرة، اقليم بني راشد، وهران ومستغانم وبرشيك وجبال اغبال وجبال بني بوسعيد، مملكة بجاية وجيجل كلها كانت مراكز تجارية مهمة ساهمت في ازدهار النشاط التجاري[1].

أ – المدن :

أدى تنوع الإنتاج الزراعي والحيواني إلى ازدهار النشاط التجاري، فأصبحت المدن الجزائرية مراكز تجارية مهمة يقصدها السكان من مختلف المناطق لاقتناء لوازمهم الضرورية، هذا ما خلق نوع من الترابط بين الحواضر والأرياف، فمثلا كانت مدينة الجزائر تأتيها المواد الغذائية وغيرها من المزارع من المناطق المجاورة لها كالفحوص وسهل متيجة وشرشال والبليدة وغيرها، وحتى من المناطق الجبلية والجنوبية، وبالمقابل تبادلهم بما تمتلك من منتجات[2]، من أهم هذه المدن نذكر:

. **مدينة الجزائر**: أصبح القسم المحاذي منها للبحر مقصدا للتجار، انتشرت الأسواق والدكاكين والمخازن، حيث كانت تحتوي على2.000 حانوت[3]، من أهم الأسواق نذكرسوق الرحبة والسوق الكبيرة، سوق اللوح السمن، وسوق الصوف ورحبة الزرع وغيرها وسوق الكتان و الشمع[4]، كذلك سوق اللحم الحديد وسوق للخضارين وسوق الصباغين حيث كانت هذه الأسواق تتركز في شارعين مهمين أحدهما يمتد من باب عزوز إلى باب الواد[5]، وفي هذا أضيفت حارات وأحياء أخرى تحتوي على حوانيت في جزءها المقابل للجامع الكبير والميناء، أما الشارع الرئيسي الآخر

---

[1] – الوزان، المصدر السابق، ص ص14 – 52.

[2] – سعيدوني، الأوضاع ...، المرجع السابق ، ص38 .

[3] –Diego de haedo ،**topographie et histoire général d'Alger** ،trad. de l'espagnol : berbrugger ،Ed : grand-alger livre ، p106.

[4] – سعيدوني، نفسه، ص ص 38 –71.

[5] – نفسه، ص 71.

باب البحرية، في هذا الشارع توجد أسواق الذهب السباكين الرصاصين النقاشين الصباغين ويوجد كذلك في هذه الحوانيت ما يحصلون عليه من مغانم القرصنة وبعض المواد الغذائية التي تحضرها السفن التجارية والتي تتعامل بكل حرفة تجارية مع مدينة الجزائر[1].

وبجوار هذه الأسواق كانت تنشر الفنادق[2] والمقاهي والحوانيت[3]والحمامات، هي أماكن للاجتماع والتسلية وتناول الطعام ولتبادل السلع بين التجار، من أهم هذه الفنادق فندق بن تركية خارج باب الواد، فندق شوبطه خارج باب عزون، فندق يكي مسلمان وفندق ابن الرزقي وفندق الروز وفندق القهوة الكبيرة، من الحمامات نذكر :حمام حمزة خوجة، ومن المقاهي توجد القهوة الكبيرة بالقرب من فندق الروز[4].

.**مدينة قسنطينة:** ارتبطت تجارتها بقوافل تونس والصحراء والتي كانت تستورد الاقمشة الحريرية والخيوط المذهبة والشاشية والآلات الحديدية والعقاقير، الأدوية والجواهر وماء الورد، السجاد العجمي من أقطار المشرق عن طريق تونس وتصدر مقابلها البرانس والجلود والحياك والمواشي والحنة وريش النعام ومسحوق البارود، حيث كانت هذه المواد يحصل عليها التجار من أقطار السودان وكذلك من جهات الصحراء الشرقية مقابل المصنوعات الجلدية والحبوب والأقمشة الصوفية وغيرها[5].

.**مدينة تلمسان:** استقطبت تجارة المغرب الأقصى والجهات الغربية من الجزائر، وقد ساعدها على هذا نشاط تجارها وصلاتها القديمة مع السودان[6].

ومع مطلع القرن 16م كانت تلمسان تمثل مركزا تجاريا هاما بالنظر الى موقعها الجغرافي، حيث أنه لم ينقطع عنها التجار فقد كانوا يتزودون منها بمنتوجات بلاد السودان كالعاج والذهب والعبيد،

---

[1]– كورين شوفاليه ، الثلاثين مائة الاولى لقيام دولة الجزائر 1517–1540، تر جمال حمدان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2019، ص ص 38–71 .

[2]– جمع فندق : وهو عبارة عن بناية كبيرة نوعا ما ، تشتمل على فناء او عدة افنية ومخازن للبضاعة وعدد من الغرف التي كان ينزلبها التجار والمسافرين الذين يأتون للمدينة : انظر عائشة غطاس ، المرجع السابق، ص 272 .

[3]– انظر الملحق رقم04، ص76.

[4] –سعيدوني ، تاريخ الجزائر .... ، المرجع السابق، ص 196 .

[5]– سعيدوني، نفسه، ص 196.

[6] – نفسه، ص 197 .

إذ كانوا يرسلون سلعهم منها إلى الصحراء عن طريق سجلماسة، إذ أنه كانت تلتقي قوافل المغرب الأوسط بقوافل المغرب الأقصى ويتجهون إلى تومبكتو ثم إلى غانا.

لم تكن تجارة تلمسان مع جهات الصحراء فقط وإنما كانت تلعب دور الوسيط التجاري مع الأسواق الأوروبية، عبر موانئ المرسى الكبير وميناء وهران وهنين، أدت دورا كبيرا في إنعاش الحركة التجارية في المدينة[1]، ومع تضاؤل كميات التبر والعنبر الاسود والمسك والعبيد، إثر سقوط دولة بني عبد الواد إلا أن أسواقها ومخازنها ظلت تتحكم في تجارة كميات كبيرة من القطن والتوابل والأقمشة والجلود، مع بعض من أخشاب البنادق وريش النعام والعاج، وكانت هذه المواد تجلب من جبل طارق أو فاس عن طريق ممر تازة، مقابل تصدير الإنتاج المحلي من حبوب وبلاغي وزيت، يصدّر منها للمغرب ما قيمته تقريبا 300 إلى 400 ألف فرنك ذهبي[2].

.وتوجد كذلك مراكز أخرى ساهمت في تنشيط الحركة التجارية فنجد أن بعض الواحات الصحراوية كورقلة وتوقرت وقرى وادي مزاب، شكلت محطات تجارية مهمة وأسواق تبادل رئيسية مع بلاد السودان وإقليم التل، فورقلة مثلا ظلت طيلة العهد العثماني هي السوق الرئيسية لمنتوجات بلاد السودان ومركز تجمع للعبيد وتبادل هذه السلع مقابل مصنوعات ومحاصيل الشمال، أما بالنسبة لتوغرت فقد كان يصدر عن طريقها انتاج وادي سوف ووادي ريغ من تمر وتبغ وصوف وزرابي وملح وغيرها من المنتوجات[3].

- **الأسواق :**

من بين المراكز التجارية نجد الأسواق، حيث يعتبر السوق من المرافق الضرورية لكونه مجالا لتبادل السلع والمنافع ويرتاده العامة، فقد تنوعت الأسواق في الجزائر في العهد العثماني من ريفية وحضرية واختلفت من يومية إلى أسبوعية وسنوية، كذلك نجدها متنقلة، حيث كان السوق في الريف يوفر للقبيلة ما كانت تحتاجه من حبوب ومواشي ومواد مصنعة ونصف مصنعة ومواد أولية، ومن بين

[1]–محمد دراج، المرجع السابق، ص 96 .

[2] – سعيدوني ، تاريخ الجزائر ....، المرجع السابق، ص 197.

[3]– نفسه، ص 197.

هاته الأسواق نذكر سوق اللوحة في غرب الجزائر بالقرب من تيارت، بالإضافة إلى سوق البرج بمنطقة معسكر الذي يعقد كل يوم خميس .

نجد أن الأسواق في المدن كانت توزع على أماكن متعددة وعبر الطرقات في أحياء عادية تنفتح بها الدكاكين على الجهتين، كل شارع أو حي يختص بنوع واحد من السلع أو مجموعة متجانسة من البضائع، من أهم هذه الاسواق نجد ندرومة، معسكر ومازونة[1].

والأسواق في توزيعها الطبوغرافي تحتل الأطراف ذلك تسهيلا لحركتها، تعقد كذلك عند أبواب المدن ومداخلها وبالتحديد عند أهم ما يربط المدينة بالطرق التجارية الهامة، كما كانت تقام عند المراكز العسكرية وذلك حتى يكون السوق مراقبا من طرف السلطة العثمانية، كما اختلفت المكاييل والموازين التي يتم التعامل بها، ومن هذه الأسواق نذكر :

.**سوق معسكر** : الذي يعقد كل يوم خميس ويباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل ، والكثير من منسوجات البلاد واشياء اخرى أقل قيمة كالحبال والسروج وحاجيات الخيل[2].

.**سوق بني راشد**: والذي يعقدكل يوم اثنين يقصده البربر والأعراب لبيع ماشيتهم وزرعهم وغلاتهم من زبيب وعسل وشمع وزيت، كما يأتي إليه التجار من تلمسان وغيرها بالمنسوجات والبرانس والعباءات وغيرها من البضائع[3].

.**سوق ندرومة** : يشكل نقطة التقاء هامة يقصده التجار من أجل البيع والشراء قادمين من مدن عديدة منها : وجدة ومغنية تلمسان و بني راشد ومازونة ، وكانت لندرومة علاقات واسعة حيث وصلت إلى غاية مدينة فاس وطنجة، كما كانت لها علاقات دائمة مع مدينة تلمسان ومدن أخرى .

.**أسواق تلمسان** تعرض فيها المنتوجات الفلاحية والمواد المصنعة سواء الأوربية أو المغربية، كان يقصد أسواق تلمسان قوافل تجارية قادمة من بلاد السودان المارة بسجلماسة وتافليت، وجدة وفاس حاملة للمدينة العاج والذهب والعبيد، مقابل مواد مصنعة، وكتب كانت رائجة بسوق تلمسان[1].

---

[1]– مشري جميلة، ودان بوغفالة، الأسواق في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني1519-1830 ، "**مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية**"، مجلد 8 ، ع 01، جوان 2017، جامعة معسكر، ص 125.

[2]– نفسه، ص 126.

[3]– مارمول، المصدر السابق، ص 324 .

اضافة إلى هذا كان الجبليون **بمدينة الجزائر** يقيمون فيما بينهم معارض وأسواق، ويوجد بها البهائم والحبوب والصوف، وقليل من الأقمشة المجلوبة من المدن المجاورة[2]،كانت عديدة ومقسمة إلى أقسام منها رحبة الزيت، رحبة الجلد، رحبة اللوح، قاعة السمن ورحبة الزرع ...الخ، وفي الحواضر تمتلئ بالواردين إليها من شتى الأقاليم للتزود بالمواد الغذائية والبضائع المختلفة إلى جانب الغنائم التي كان يجلبها الجهاد البحري إلى الأسواق مما زاد في عمارتها ورواجها ومقصد أغلب التجار من عدة مناطق مجاورة[3].

الملاحظ أن هذه الأسواق هي التي كان لها الفضل في انتعاش التجارة الداخلية التي كانت موجودة في معظم المناطق حسب ما ذكره الحسن الوزان الذي لمح لوجود أسواق أسبوعية يقصدها التجار من كل المدن الجزائرية في كل من قسنطينة وبونة،مؤكدا على تنظيمها وحسن تسييرها[4].

- **الموانئ :**

لعبت الموانئ الجزائرية دور الوسيط التجاري مع الدول الأوروبية، كما كان لها دور كبير في انتعاش الحركة التجارية في هذه الفترة، فقد قصدها التجار الجنويين والبنادقة الذين كانوا يزاولون تجارتهم عن طريق المقايضة[5]، ومن أهم هذه الموانئ نذكر :

.**المرسى الكبير**: ويعتبر مركزا رئيسيا للتبادل التجاري بين المدن المتوسطية كالبندقية وجنوة وقد حافظ التجار البنادقة والقطلونيين أواسط القرن 16م على نشاطهم التجاري مع المدن الساحلية لبلاد المغرب من بينها المرسى الكبير الذي كانت تباع فيه منتجاتهم من أقمشة وأدوات زجاجية،العطور وغيرها من البضائع التي تفتقر اليها هذه المنطقة[6]، يذكر الوزان أن بها ميناء كبير على حد قوله أنه لا يوجد أكبر منه،وترسو به مراكب وسفن بحرية لكي تأمن من العواصف والأعاصير، كانت أيضا تأتي

---

[1] – مشرفي، المرجع السابق، ص 132.

[2]– الوزان ، المصدر السابق ،ص 46 .

[3] –سعيدوني ،الأوضاع الاقتصادية...، المرجع السابق، ص38.

[4] – الوزان، نفسه، ص ص56-62

[5]– دراج ، المرجع السابق، ص 99-100 .

[6]–. فهيم لقوارة ، **ميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصادي في العهد العثماني** ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر 2 ، 2011-2012،ص.40

سفن من البندقية عند ما يكون الجو مضطربا، حيث أنها ترسل بضائعها في قوارب إلى وهران أو قصدها مباشرة[1].

✓ **ميناء وهران**[2]: شهد خلال القرن 16 نشاطا اقتصاديا، حيث ازدهرت فيه الحركة التجارية، فقد كانت ترسو في ميناءها السفن التجارية القادمة من أوروبا مثل البندقية وجنوة وغيرها، فوهران كانت مهبط التجار القطلونيين والجنويين[3]، ومن المواد التجارية المتبادلة نجد شراء المواد المدبوغة والفواكه الجافة ويصدرون أنواعا من الأقمشة والأواني الزجاجية والتوابل والأسلحة[4].

✓ **ميناء هنين**: ويعتبر من أحسن المنافذ البحرية في تلك الفترة، حيث لعب دورا تجاريا مع الدول الأوروبية إذ أنه يأتي لهذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا مع تجار تلمسان[5]، وقد كانت تستورد من أوروبا المنسوجات والثمار الجافة، أما صادراتها فتمثلت في الصوف والجلود، كان كذلك سكان تلمسان يقصدون ميناء وهران والمرسى الكبير ليتعاملوا مع تجار البندقية[6].

.نجد أيضا ناصر الدين سعيدوني في كتابه ورقات جزائرية، يذكر أن مدينة عنابة تشتهر بمينائها البحري الذي كان ذو أهمية خاصة طيلة الحكم العثماني، باعتباره الشريان الرئيسي الذي تمر منه المبادلات التجارية من بايلك قسنطينة وباقي المدن الأوربية، حيث تأتي كل سنة سفن من تونس وجربة وغيرها من السواحل، أيضا من جنوة لشراء القمح والزبدة[7]، كذلك يوجد بقرب عنابة شاطئ يكثر فيه المرجان لكن لا يسمح لأحد الصيد فيه لأن الملك قام بكراء هذا الشاطئ للجنويين[8].

.**ميناء الجزائر**: ويمثل الحياة الدائمة فمن خلاله تضمن استمراريتها، حيث شوهد ولأكثر من 300 سنة تواجد الذهب المكسيكي والماس الهندي وحرير الشرق، أقمشة وفضة وغيرها من المعادن الثمينة، كانت السفن ذات الأعلام تدخل وتخرج من ميناء الجزائر وهي مليئة بالأسرى والأرزاق

---

[1]–الوزان، المصدر السابق ،ص 31 .

[2]–انظر الملحق رقم 05، ص77.

[3]–الوزان، نفسه، ص 30.

[4]–لقوارة، المرجع السابق،ص44.

[5]– الوزان، نفسه، ص 15.

[6]– لقوارة، نفسه، ص 42 .

[7]–سعيدوني، ورقات ...، المرجع السابق، ص 455.

[8]–الوزان، نفسه، ص ص 61-62 .

والثروات[1]، حيث اعتبر من أهم الموانئ التي يرتادها التجار المسيحيون على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وكانت كذلك السفن تأتي من إنجلترا وإسبانيا والموانئ الفرنسية والإيطالية كذلك موانئ البلدان العربية والاسلامية كإسطنبول والإسكندرية وغيرها[2]، وقد كانت السلع الداخلة إلى الميناء مختلفة ومتنوعة فنجد مثلا المعادن كالنحاس والرصاص والحديد، كذلك نجد الأقمشة المتنوعة والمواد الغذائية، الأصباغ والقطن وغيرها من المواد[3].

✓ أيضا نجد موانئ أخرى بإيالة الجزائر من بينها: ميناء القالة وسكيكدة ومستغانم كانت تستقبل السفن القادمة من جنوة وتونس وجربة، تصدر من خلالها الجلود والقمح والسمن، الأقمشة ومنتوجات البلاد الأوربية[4]، ويؤكد هذا الوزان في قوله ان سكان القل تجارتهم رابحة إذ أنهم يمتلكون كمية كبيرة من الجلود ويبادلون بها البضائع التي يحملها أهل جنوة إلى مينائهم، أما بالنسبة لسكان مدينة سكيكدة فيتاجرون مع الجنويينيدفعون لهم القمح مقابل الأقمشة وغيرها من منتوجات أوروبا، أيضا نجد أن مدينة مستغانم لها ميناء صغير تقصده السفن الأوربية[5].

مما سبق نستنتج أن النشاط التجارة استطاع إثراء الخزينة وازدهار الحواضر والأرياف بالمنتجات المتنوعة، مما أثر على الحياة الاقتصادية في الجزائر، وساعد على هذا وجود الأسواق والموانئ، التي كان لها دور كبير في حركة التبادل التجاري الداخلية والخارجية.

[1]- آلتر، المرجع السابق، ص ص 128-129 .

[2]-Haedo. op. cit .pp103-104.

[3]- فهيم لقوارة، المرجع السابق، ص.47

[4]- دراج، المرجع السابق، ص 100 .

[5] - الوزان، المصدر السابق، ص ص 32-55 .

تقييم عام للكتاب

تقييم عام للكتاب:

نستنتج من خلال كل ما تناولناه في كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان، أن رحلته جاءت ملمة بأغلب الجوانب السياسية، الاجتماعية، الثقافية، والاقتصادية، تضمنت أحداث ومعلومات تاريخية هامة جدا واحتوت على معلومات دقيقة تنوعت بين كل جوانب الحياة الموجودة آنذاك، خاصة الجغرافية منها.

كما تميز أسلوبه بالبساطة وسهولة المعنى ولا يحتاج جهد من القارئ لفهم محتواه، وقد أشاد الكثير من المؤرخين بهذه الرحلة التي تحتوي على معلومات لم يسبق للمؤرخين قبله ذكرها، مثل هارتمان المستشرق الألماني القائل" **إن ما يتصف به مصنفه من ميزات أمر معروف للجميع ولن أتردد في تكرار ماقاله البحاثة قبلي من أن كتابه كنز من ذهب ولولا وجوده لخفيت علينا أشياء كثيرة**"[1].

لقد كان الوزان متمكنا في التأليف، كما تميز بأسلوبه الراقي حيث نجد موضوعاته قسمت على عدد من الأقسام، يتبين من ذلك أنه كان عارفا بكل الأقطار الإفريقية، اعتمدفي وصف الأمصار على المشاهدة والملاحظة الشخصية أو على نقل المعلومات، وحرر تلك المشاهدات بدون قيد فكل ما راءاه دونه،سواء كان أمرا صغير أم كبيرا من عادات وتقاليد الإفريقيين، لباسهم مأكلهم ومشربهم، حياتهم اليومية وتعاملاتهم.

اعتمد في مصنفه على مجموعة من المؤلفين أمثال البكري، الأصفهاني، الإدريسي، ابن خلدون، ابن خالكان، ليثبت صدق ما رآه بحكم أن هؤلاء المؤرخين جاءوا قبله، لقد جاء غنيا بالمعلومات الهامة سواء التي شاهدها أو أخذها على من سبقوه، أدى هذا بالأوربيين إلى ترجمته للعديد من اللغات كالفرنسية الايطالية الهولندية الاسبانية والإنجليزية .

لقد أعطى الوزان في وصف إفريقيا تعدادا ثقافيا واسعا، من خلال تداخل الحضارات وكذا تاريخ شمال إفريقيا، فكانت رحلته معتمدة على مجموعة من العلوم الإنسانية والآثار إضافة إلى مختلف وجوه الثقافية من خلال البيئة ومعالمها وآثارها الأصلية المستحدثة.

إن هذا الصدى الايجابي الذي تلقاه مؤلف وصف إفريقيا دليل على صدق ماتناوله الوزان في رحلته، حيث وافقه الرأي العديد من المؤرخين الذين عاصروه أمثال مارمول كربخال، الذي تناول نفس

[1]-كراتشوفسكي، المرجع السابق، ص 454.

الأنشطة الاقتصادية التي تناولها الوزان في الجزء الثاني الخاص بدراسة الوضع الاقتصادي، حيث يقول الوزان في الصناعة مثلا أهل تبحريت نساجون إلا القليل منهم، أيضافيالمجال التجاري يقول هنين لها ميناء صغير ويأتي لهذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان، وفيمجال الزراعة نجده يتناول مدينة مليانة حيث يقول، هذا الجبل مليء بالعيون ومكسوا بأشجار الجوز فإذا عدنا إلى مارمول نجده يتطرق إلى نفس الشيء حيث يقول في مدينة تبحريت لهم بعض الكتان يصنعون منه قماشا غليظا، وعن هنين قال لها ميناء صغير محصن من كل الجانبين ببرجين قويين، في مدينة العباد أيضا توافق رأيه مع الوزان حول النشاط الزراعي فيقول في كل منها أشجار جوز تثمر بكميات كبيرة[1].

فبالنظر إلى ما أورده الوزان في رحلته التي قام بها غداة الدخول العثماني إلى الجزائر، فانه يمكن تلخيص الأوضاع اعتمادا على مشاهداته التي أوردها في رحلته، وعلى ما أوردته مصادر أخرى لم تختلف في تصويرها كثيرا كما ذكر الوزان[2].

إن أعمال الحسن الوزان جسدت بامتياز تلاقح الثقافات بكل جوانبها، فهو يعد واحدا من أهم الشخصيات في التاريخ المغربي.

إن كل ما تم التطرق إليه من ايجابيات حول رحلة الوزان، لا يعني عدم وجود نقائص تسجل على هذه الرحلة التي جاءت في مجملها تتناول المواضيع بصفة عامة دون الدخول في الحيثيات، الأمر الذي يعاب عليه لأنه لم يتوسع في معلومات كانت تتطلب توضيح أكثر، مثلا نجده في حديثه عن المدن الجزائرية يكتفي بذكر المنتوج أو الصنعة أو الحرفة التي كانت رائجة آنذاك، دون تناوله لهذه المعلومات بشكل مفصل، الأمر الذي يتطلب من الباحث التوسع أكثر في المعلومات وتأكده من صحتها بالرجوع إلى مصادر أخرى، خاصة وأن هناك من يرى عكس مايقوله الوزان حول الناحية الاقتصادية للجزائر، مثلا نجد المؤرخ التركي عزيز سامح التر يقول بأن التجارة الخارجية للجزائر كانت محدودة وقليلة جدا، اقتصرت على نشاط المهاجرين والأندلسيين واليهود وقلة قليلة من المسلمين[3]، نفس الأمر يتناوله محمد خير فارس الذي يرى أنه لم يكن للجزائر موانئ سوى ميناء مدينة الجزائر هو

[1]-كاربخال، المرجع السابق، ص ص296-360.

[2]-دراج، المرجع السابق، ص71.

[3]- آلتر، المرجع السابق، ص145.

الوحيد الصالح للتجارة وباقي الموانئ مهملة، وقد بدء اهتمام الدولة بالميناء منذ عهد خير الدين ولكن ليس للغرض التجاري بل للقرصنة،ولم تعرف الجزائر خلال بداية العهد العثماني توازن اقتصادي فقد كان الاقتصاد الجزائري يمر بسيرورة من الراحة وليس الازدهار[1].

كما ذهب المستشرق الإيطالي أماربإلى القول أنما كتبه الوزان قد تم جمعه بعد رجوعه إلى إفريقيا، بحيث لم يستطع تنقيح المسودة النهائية، وقال أن ليون لم يعرف تاريخ صقلية معرفة جيدة، أما شيفر فتحقق مع عدد كبير من العلماء في القول بأنه لم يذكر كل ما وصفه ولم يكن دائما شاهد عيان لما كتبه[2].

غير أنه على الرغم من هذا يعتبر الحسن الوزان آخر الجغرافيين العرب، إذ أن وفرة مادته في وصف إفريقيا تعتبر أصالة ناتجة عن سعة رحلاته وحب الاستطلاع والاستكشاف عنده.

[1]- فارس، المرجع السابق،ص ص98-100.

[2]- كراتشوفسكي، المرجع السابق، ص454.

الخاتمة

من خلال ما تناولناه عن النشاط الاقتصادي انطلاقا مما ذكره الوزان في رحلته، وقف عند مجموعة من النقاط تمثلت في:

الحسن الوزان هو من الأعلام والجغرافيين العرب، كرس حياته لاكتشاف ثقافات وحضارات العالم، يتبين ذلك من رحلته إلى الجزائر بداية القرن 16م أين قدم لنا معلومات قيمة عنها، شملت جميع الجوانب السياسية والاجتماعية بما فيها الاقتصادية موضوع بحثنا.

رغم كل الظروف التي كانت تعيشها منطقة المغرب الأوسط، سواء على المستوى الخارجي أو الداخلي، إلا أن المدن الجزائرية لم تفقد خصوصيتها الاقتصادية.

قدم لنا الحسن الوزان بعض الأوصاف للمدن الجزائرية، والتي دلت من خلالها على وجود أنواع مختلفة من النشاطات الاقتصادية، شملت تنوع المزروعات وتعدد الصناعات وحيوية التجارة.

تبين من خلال الدراسة أن الاقتصاد الجزائري عرف في بداية العهد العثماني انتعاشا بعد الركود الذي شهده اثر تواجد الخطر المسيحي، الذي تراجعت على أثره المناطق الجزائرية، غير أن الدخول العثماني للجزائر وقدوم المهاجرين الأندلسيين غير مجرى الأحداث، أين ساهموا في ازدهار الحياة الاقتصادية، فالدخول العثماني مكّن من إنعاش خزينة الدولة من خلال موارد الجهاد البحري، أما الأندلسيين فقد استخدموا خبراتهم في تطوير الزراعة من خلال استصلاح الأراضي واستقدموا مزروعات جديدة، مثل التوت والبرتقال والكرز، وامتهنوا بعض الصنائع مثل صناعة الحرير والقطيفة والمخمل ونسج الزرابي.

تنوع الإنتاج الزراعي رغم اعتماده على الوسائل البسيطة، مما جعله موجه للاستهلاك المحلي وتحقيق الاكتفاء الذاتي، أما الفائض فهو موجه للتصدير الخارجي، من هذه المنتوجات نجد القمح والشعير والأشجار المثمرة كالتين والزيتون النخيل والجوز.

امتلك الجزائريون أعدادا وافرة من الحيوانات، كالخيل والأبقار والمواشي وغيرها، وتعددت مهامها حيث وجه البعض منها للتنقل كالخيل والبعض الآخر كالمواشي والأبقار وفروا الزبدة والسمن والجلود والأصواف، استغلت محليا وخارجيا (التصدير) .

تميزت الصناعة بالبساطة وقلة التنوع واقتصرت في أغلبها على المنتوجات المحلية ومعدن الحديد، فامتهن الأهالي مختلف الصناعات الحرفية التي تميزت بالتنوع من منطقة إلى أخرى، مثل الصناعة النسيجية والحريرية والدباغة والصباغة.

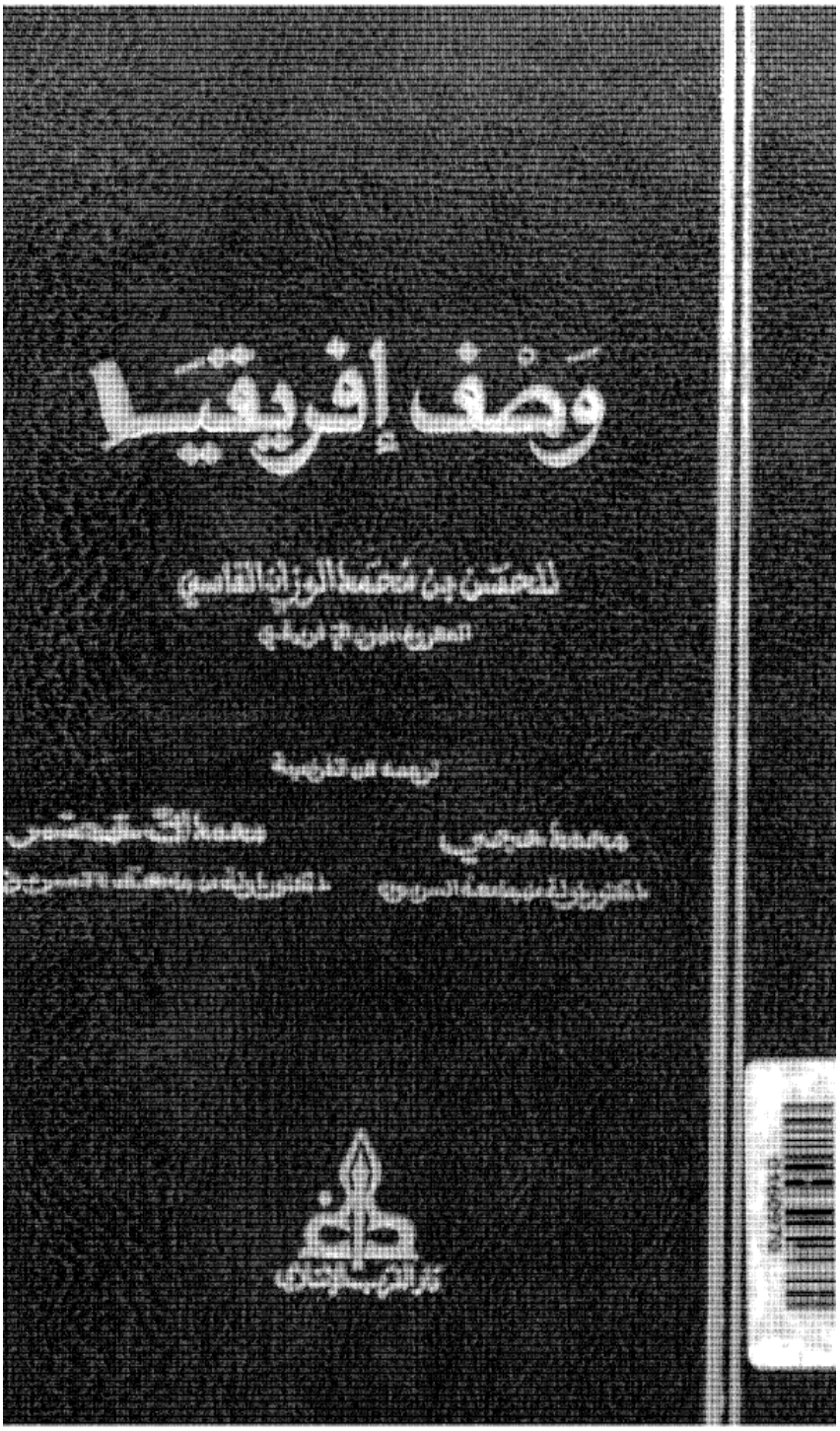
كان النشاط التجاري مرتبطا بالدرجة الأولى بغنائم الجهاد البحري، الذي كان في مرحلة قوة الأسطول الجزائري، فأهمية الأسطول تمثلت في توفير الحماية للتجارة والتجارة والتي تمثلت في فرض إتاوات ورسوم على الدول الأجنبية لحرية التجارة والمرور عبر البحر الأبيض المتوسط.

شكلت عملية القرصنة والأسر مصدر دخل ومورد مالي مهم، مما تقدمه من غنائم وأموال مقابل فداء الأسرى.

تنوعت التجارة بين داخلية وخارجية، وتوزعت على المدن الكبرى، فالتجارة الداخلية كانت تتم عبر الأسواق الأسبوعية والسنوية بين المدن الجزائرية بتبادل السلع المحلية، أما بالنسبة للتجارة الخارجية فكانت تتم بين الجزائر والدول الأوربية عبر الموانئ كميناء وهران والمرسى الكبير بتصدير واستيراد المنتوجات، أما بالنسبة للسودان والصحراء وتونس فقد كانت تتم عبل القوافل التجارية وقافلة الحج.

الملاحق

الملحق رقم 01 :واجهة لكتاب وصف افريقيا (ج2) الطبعة الثانية، بيروت لبنان .



الملحق رقم 02 :الصفحة الأولى من كتاب وصف افريقيا باللغة الانجليزية 1600 م [1].



A GEOGRAPHICAL
HISTORIE of AFRICA,
Written in Arabicke and Italian
by IOHN LEO a More, borne
in Granada, and brought up
in Barbarie.

Wherein he hath at large described, not onely the qualities, situations, and true distances of the regions, cities, townes, mountaines, riuers, and other places throughout all the north and principall parts of Africa, but also the descents and families of their kings, the causes and events of their warres, with their manners, customes, religions, and ciuile government, and many other memorable matters: gathered partly out of his owne diligent obseruations, and partly out of the ancient records and Chronicles of the Arabians and Moores.

Before which, out of the best ancient and moderne writers, is prefixed a generall description of Africa, and also a particular treatie of all the maine Ilands and Ilets vndescribed by *Iohn Leo*.

And after the same is annexed a relation of the great Princes, and the manifold religions in those parts of the world.

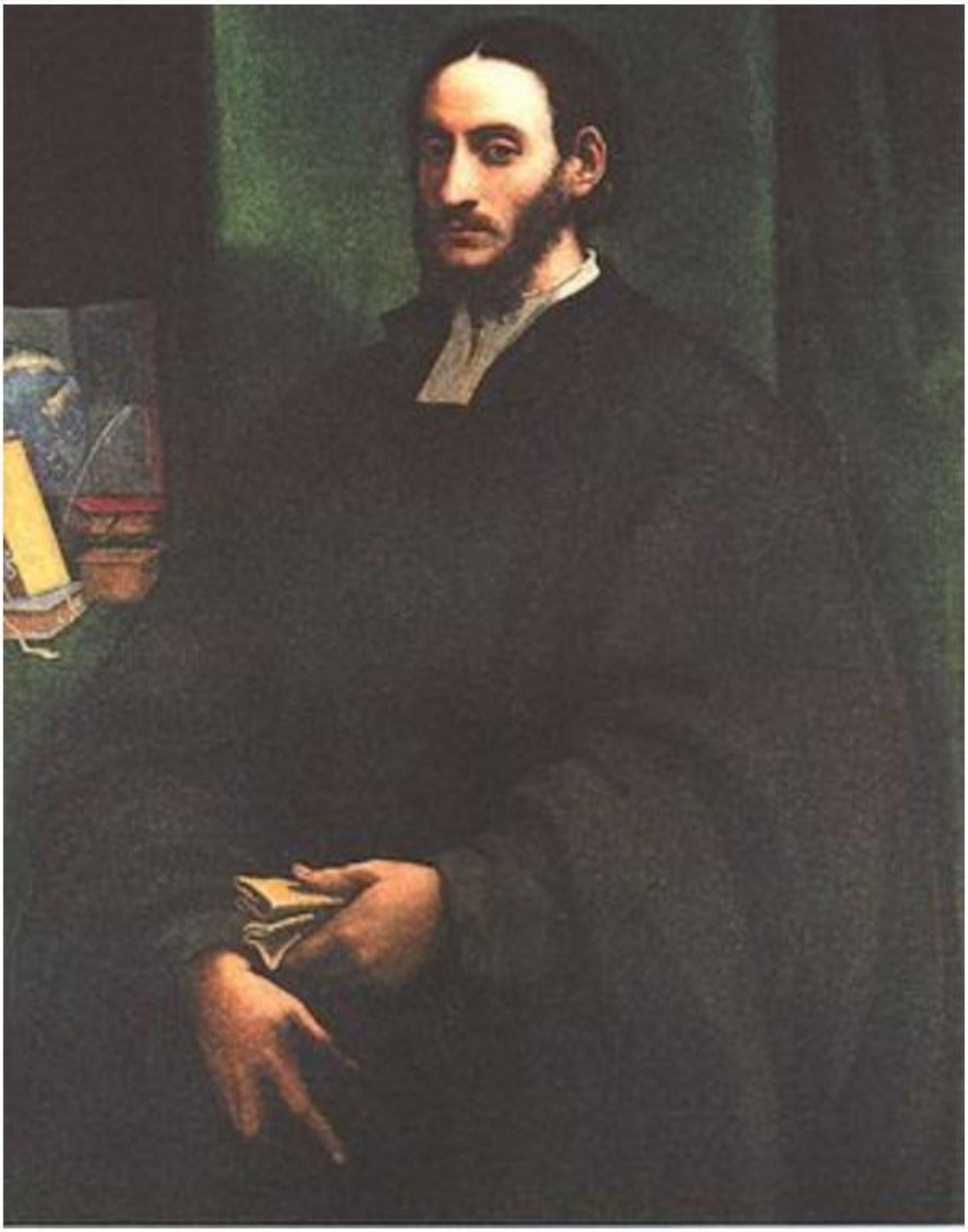
Translated and collected by IOHN PORY, lately
of Gonuill and Caius College
in Cambridge.

LONDINI,
Impensis Georg. Bishop.
1600

الصفحة الأولى من كتاب وصف أفريقيا باللغة الإنجليزية، 1600.

[1]-www.marefa.org ،mardi18 ،juin، 21 :23 .

الملحق رقم03: رسم محتمل لليون الافريقي بريشة سيباستيانو دال بومبوفي سنة 1520 م[1].

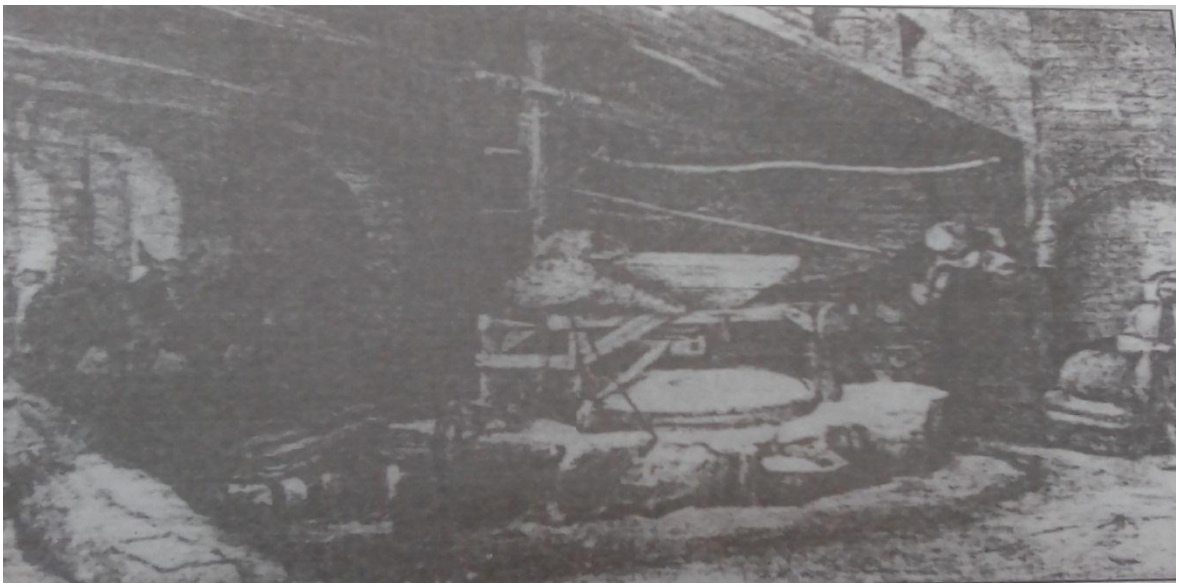


[1]-www.marefa .com.

.الملحق 04:الحوانيت[1]



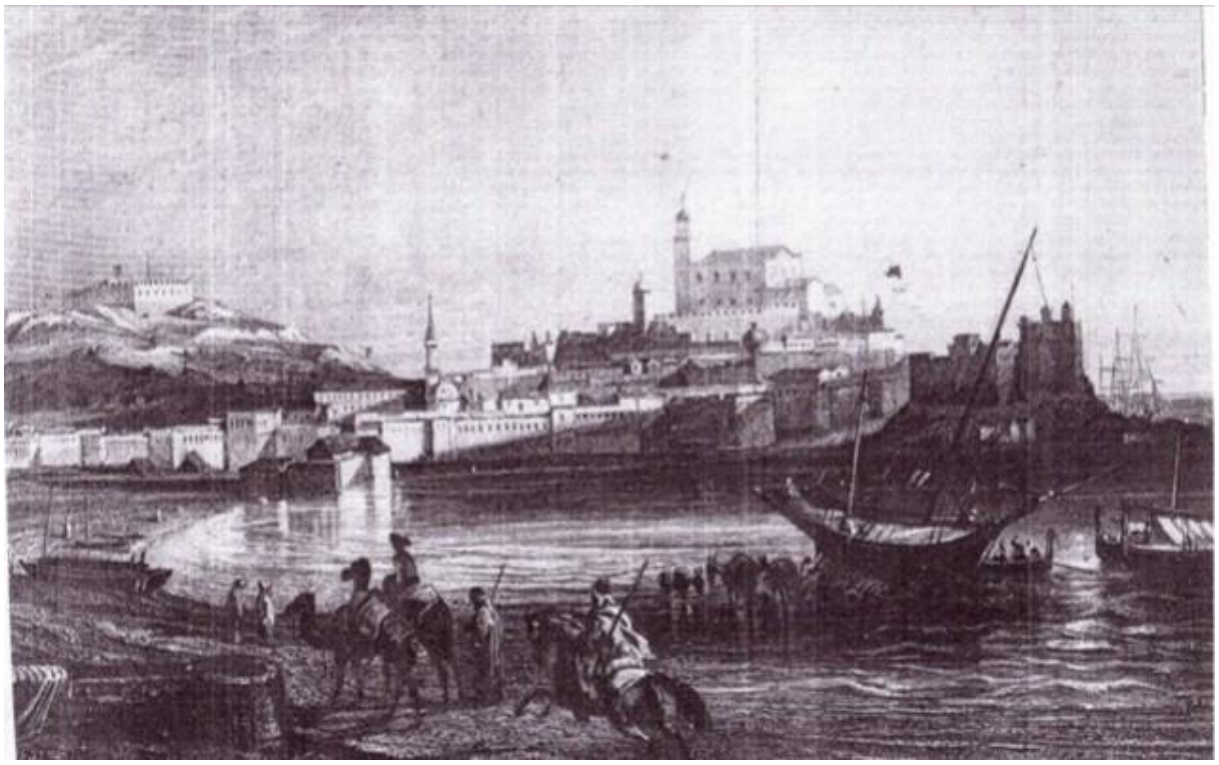
الملحق رقم 05:مطحنة.[2]



[1]– عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر 1107-1117هـ/1695-1705م، دط، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، دت، ص208.

[2]–نفسه، ص214.

الملحق رقم06:ميناء وهران[1].



[1]- www.marefa.com

البيبليوغرافيا

. المصادر:

. العربية:

. ابن خلدون عبد الرحمان، ج1، تاريخ ابن خلدون دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1968، ددن.

. ابن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

. التمغروطي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تر: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط 1423هـ-2002.

. الحموي شهاب الدين، معجم البلدان، م5، دار صادر، بيروت،1397 هـ-1977م.

. الزركلي خير الدين، الأعلام، ط15،ج 2، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، 2002.

. القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، المطبعة الأميرية بالقاهرة،1333هـ-1915م.

. كربخال مارمول، إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر وآخرون، ج2، مطابع المعارف الجديدة، 1988-1989م.

. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تر: سعد زغلول عبد الحميد، دط، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1985

. الورتلاني الحسن بن محمد، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1362هـ-1908م.

. الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

. ويلد ليسو، رحلة طريفة في ايالة الجزائر، تر: محمد جيجلي، ط02، دار الأمة، الجزائر 2002.

. الفرنسية:

. Diego de haedo ،Topographie et Historie General d'Alger ، trad. de l'espagnol : berbrugger ، edgrand- alger Livre.

. Shaw (t) ،voyage dans la régence d'Alger ، trad. de l'anglais par j.mac carthy، 2ed، éd bouslama، Tunis 1980.

. المراجع:

. ابن أشنهو بن زيان، دخول العثماني للجزائر، دط، ددن، دت.

. عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1409هـ-1989م.

. ايشبودان العربي ، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007

. بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

. بن خروف عمار، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ – 16م،ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.

. بومولة نبيلة، صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني إمارة المقرانيين في القرن 16م 10هـ، دط، ددن، دت.

.الحجوي محمد المهدي، حياة الوزان الفاسي وآثاره، المطبعة الاقتصادية، الرباط،1354هـ-1935.

. حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، 1972.

. حميدة عبد الرحمان، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، ط 1، سوريا، دمشق 1984.

. خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تق و تع: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005

. دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512 -1543)، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 1433هـ– 2011م.

. درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، الجزائر.

. الدفاع علي بن عبد الله، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية، دط، مكتبة التوبة.

. الزبيري محمد العربي، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، دار الحكمة للنشر، الجزائر ، 2015،

. سعيدوني ناصر الدين، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر تونس وطرابلس الغرب) من ق 16الى ق 19م، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية31، قسم التاريخ، جامعة الكويت، 1431هـ-2010م

. .....، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2013.

. .....، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط2، البصائر، الجزائر، دت.

. .....، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر(دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791-1830م، طبعة خاصة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.

. .....، الملكية والجباية في الجزائر اثناء العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.....

. .....، النظام المالي في الجزائر، أواخر العهد العثماني 1792-1830م، ط3، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع ، باب الزوار، الجزائر، دت.

. .....، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م.

. السليماني احمد، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، د ط، مطبعة دحلب، الجزائر .

. شالر وليام، قنصل أمريكا بالجزائر (1816-1824م)، تع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، الجزائر.

. طوبال نجوى ،يهود مدينة الجزائر خلال عهد الدايات 1700-1830من خلال سجلات المحاكم الشرعية ، دط، نشر وزارة الثقافة ،دد ن، دت .

. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي1514-1830م.دط، دار هومة، الجزائر،2012 .

. عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء الحكم التركي، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر.

. عبيد مصطفى، مجموعة من المحاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (في العهد العثماني)، بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة لمسيلة.

. عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دط، دار الأمة، الجزائر، 2013

. عمورة عمار، موجز تاريخ الجزائر،ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة الجزائر، 2002 .

. كراتشوفسكي اغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الأول، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية،1957.

. كورين شوفاليه، الثلاثين مائة الأولى لقيام دولة الجزائر 1517-1540، تر جمال حمدان، ديوان المطبوعات الجامعية، 2019.

. محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط1،1979.

. المداني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، وثائق ودراسات، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

. المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة والأسعار والمداخيل)، ج1، دار القصبة للنشر 2009، الجزائر.

. حنيفي هيلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الموريسكي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر

. .....، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 1429هـ- 2008م.

. المقالات:

. طاهر خالد، "مساهمة الحسن بن محمد الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتاب وصف إفريقيا"، المجلة التاريخية الجزائرية ، ع 4، سبتمبر 2017، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

. القيسي حسين قيس علي، الآثار الاقتصادية ووصف الطرق، "مؤتمر طرق الحج في إفريقيا"، الكتاب السابع، مركز الأبحاث والدراسات الأفريقية، الخرطوم السودان 2017.

. مشرفي جميلة، ودان بوغفالة، "الأسواق في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني1519-1830"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 8 ، ع 01، جامعة معسكر جوان 2017.

. المشهداني مؤيد ورمضان سلوان رشيد، "أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي1515-1830م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلد 5، ع 16، جامعة توكرت، نيسان 1434هـ-2013م.

. الرسائل الجامعية:

. بن كردية زهية، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الاسلامي إلى العهد العثماني، مذكر لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 1999-2000

. سعيداني محفوظ، الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربية في العهد العثماني – مقاربة تحليلية – من مطلع القرن 18م/12هـ إلى 1830-1245هـ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2 ، 2012 -2013 .

. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519 -1830م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر ،2005-2006.

. طيان شريفة، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة لنيل الماجستير، جامعة الجزائر ،1991، 1990م.

. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون، أطروحة الدكتوراه، تخصص تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 2000-2001.

. قبال مراد، الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالبليدة خلال العهد العثماني 1535- 1830م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2004- 2005.

. قرباش بلقاسم ، الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)م، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر، 2015-2016.

. لقوارة فهيم، ميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصادي في العهد العثماني، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2011-2012.

. محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671م، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2007 -2008.

. محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع هجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (7إلى16) م، مذكرة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2001-2000

المواقع الإلكترونية:.

.www.marefa.org .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البسملة	
الشكر	
الإهداء	
المقدمة	
المبحث الأول: حسن الوزان وكتابه وصف إفريقيا.	
المطلب الأول: الحسن الوزان.....	13
أ . نسبه ونشأته.....	13
ب . رحلاته وأسره.....	14
ج . شهرته ومؤلفاته.....	16
المطلب الثاني: كتاب وصف إفريقيا.....	18
أ . محتوى الكتاب.....	18
ب . مضمون الكتاب.....	19
ج . أهمية الكتاب	20
المبحث الثاني: النشاط الزراعي والصناعي في الجزائر من خلال الحسن الوزان	
المطلب الأول:. الزراعة وعوامل تطورها.....	
أ . الوسائل والأساليب المستخدمة.....	25
ب . العوامل المساعدة على تطورها	26
ج . طبيعة ملكية الأرض.....	28
02. أنواع المنتجات الزراعية والثروة الحيوانية.....	29
أ . المنتوجات الزراعية	31
. الحبوب	31

. الأشجار المثمرة 32
. منتوجات أخرى 34
ب . الثروة الحيوانية 35
المطلب الثاني: الصناعة وعوامل ازدهارها 37
أ . الصناعة عوامل ازدهارها..... 37
ب . أنواعها 39
ج. المراكز التجارية..... 45
المبحث الثالث: التجارة في الجزائر العثمانية من خلال الحسن الوزان.
المطلب الأول :التجارة وعوامل ازدهارها 48
أ . عوامل ازدهارها 49
المطلب الثاني: المبادلات التجارية..... 51
أ– التجارة الداخلية..... 51
ب– التجارة الخارجية..... 52
1. الصادرات 52
2. الواردات 53
3. القرصنة والأسر..... 54
ت– العملة المتداولة في التبادل التجاري 57
المطلب الثالث: المراكز التجارية 58
1. المدن 58
2. الأسواق..... 60
3. الموانئ..... 62
. تقييم عام للكتاب..... 66
الخاتمة 70

الملاحق 73
الببليوغرافيا 79
فهرس الموضوعات. 85